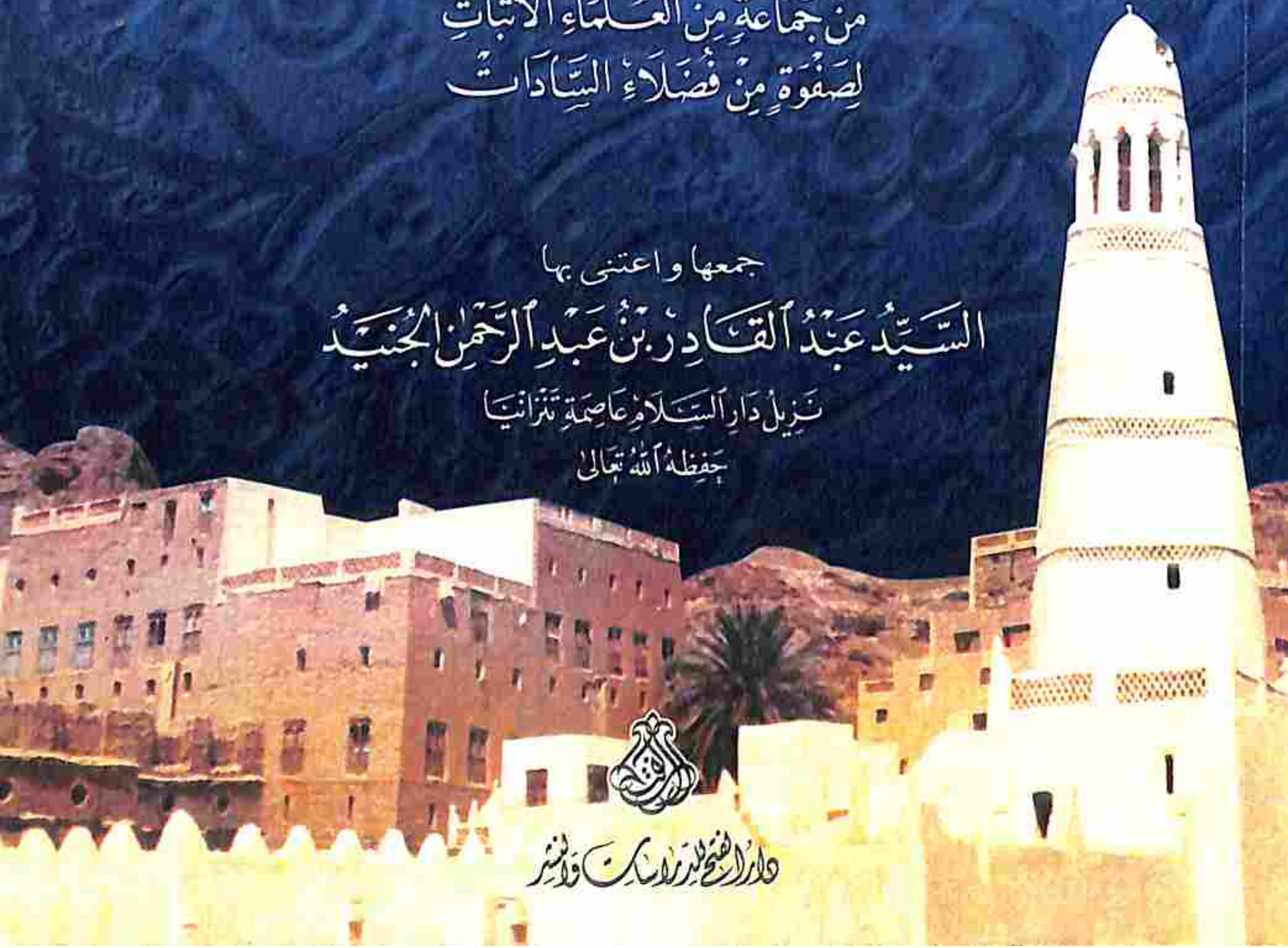
تهذيب النفس

بما ورد من الآداب والوصايا في

الإجازات الخمس

وهو مجموع إجازات ووصايا
من جماعة من العلماء الأثبات
لصفوة من فضلاء السادات

جمعها واعتنى بها
السيد عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد
نزيل دار السلام عاصمة تنزانيا
حفظه الله تعالى



دار الفتح للدراسات والنشر

تهذيب النفس

بما ورد من الآداب والوصايا في

الإجازات الخمس

بسم الله الرحمن الرحيم

تهذيب النفس

بما ورد من الآداب والوصايا في

الإجازات الخمس

وهو مجموع إجازات ووصايا
من جماعة من العلماء الأثبات
لصفوة من فضلاء السادات

جمع وترتيب

السيد عبد القادر بن عبد الرحمن الجنيد العلوي التريمي

نزيل دار السلام عاصمة تنزانيا

حفظه الله تعالى

اعتنى بإخراجها وطبعها بعض تلامذة المؤلف

دار الفتح للدراسات والنشر

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(١٢٤٤/٥/٢٠٠٥)

٢٣١
الجنيد، عبد القادر
تهذيب النفس بما ورد من الآداب والوصايا في الإجازات الخمس
جمع: عبد القادر عبد الرحمن الجنيد، تحقيق: محمد أبو بكر باذيب
عمان : دار الفتح ٢٠٠٥
(٢٠٤) ص
ر.إ:(١٢٤٤/٥/٢٠٠٥).
الواصفات: /الحديث //الإسلام//الفقه الإسلامي/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

(رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ١٢٣١/ ٥/ ٢٠٠٥)

الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

قيـاس القطـع: ١٧ × ٢٤

الرقم المعياري الدولي: ISBN 9957-23-049-2

دار الفتح للدراسات والنشر

ص.ب ١٨٣٤٧٩ ، عمّان ١١١١٨ ، الأردن
هاتف وفاكس: ٥١٥٦٢٠١ (٦ ٩٦٢ ٠٠)

بين يدَي الكتاب

الحمـدُ لله ربِّ العالميـن، والصـلاةُ والسـلام علـىٰ أشـرفِ الأنبيـاء والمرسلين، سيدِنا ومولانا محمّد، وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين.

وبعدُ،

فللإجازةِ واتصالِ السند بين الراوي والسامع والمجيز والمجاز ما لا يخفىٰ من الفضل والبركة، وقد جرىٰ على ذلك أهلُ العلم علىٰ مرِّ الأعصار، فكانت مظهَراً من مظاهر النشاط العلمي والتواصل بين أهل العلم وطلابه.

وهذا الكتابُ: «تهذيبُ النفس، بما ورد من الآداب والوصايا في الإجازاتِ الخمس»، كتابٌ ماتعٌ مفيد، احتوىٰ علىٰ غُرَرٍ من الوصايا، وجواهرَ من الآداب، تضمّنَتْها خمسُ إجازاتٍ علمية، من بعض العلماء الأجِلّاء لجمعٍ منَ السادة الفضلاء، جمعها فضيلةُ العالمِ الفاضل، الفقيهِ المسند، السيدِ عبدِ القادر بن عبد الرحمن الجُنَيد العَلَوي التَّرِيْمي، حفظه الله تعالىٰ، وقدّم لها بمقدمة، وصدَّرَ كلَّ إجازةٍ منها بترجمتَيْن: واحدةٍ للمجيز وأخرىٰ للمُجاز، فانتظم بذلك عِقدُ هذا المجموع، واكتمل في صورةٍ حسنةٍ بهية.

وقد كان الأصلُ الخطيّ لهذا المجموع يضم إجازتَين بقلم العلاّمة الجِهْبِذ علوي بن طاهر الحداد، كتبهما لجمعٍ من تلامذتِه ومحبِّيه، ولكن لطولهما ولرغبة الكثيرين في نشرهما علىٰ حِدةٍ في كتابٍ مستقل؛ فقد استأذَنّا المؤلفَ حفظه الله في إحلالِ إجازتَين أخريَيْن مكانَهما، إحداهما من العلاّمة محمد بن هادي السقاف للسيد الجليل سالم بن حفيظ، والأخرىٰ من العلاّمة محمد بن عوض بافَضْل للعلامة السيد علوي بن عباس المالكي.

نسأل الله تعالىٰ أن ينفعَ بهذا الكتاب، ويحققَنا جميعاً بما فيه من الوصايا والآداب، إنه وليٌّ ذلك والقادرُ عليه، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

الناشر

٢٠/ ٨/ ١٤٢٥هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله علىٰ نَعمائه، والصلاةُ والسلام علىٰ خاتم أنبيائه، سيّدِنا محمّد ﷺ، سيّدِ أصفيائه، وعلىٰ آله وأصحابه وأوليائه.

أمّا بعدُ،

فإنّ الإسنادَ من الدين، وهو من خصوصيّات هذه الأمة المحمديّة، وقد قال ابنُ المبارك رحمه الله: «لولا الإسنادُ لقال مَن شاءَ ما شاء»[1]، أي: في الدين.

وإذا كانت الصناعات كلُّها لها أصلٌ ترجع إليه، ومستَنَدٌ تستمدّ منه وتعوِّلُ عليه، فالعلوم أوْلىٰ وأحق بذاك.

وما زال علماء الأُمة المحمدية محافظين علىٰ الإسناد، ويتلقّىٰ بعضهم عن بعض، وطائفةٌ عن طائفة، حتىٰ أصبحت سلاسلُ الأخذ والإسناد متصلةً إلىٰ زماننا هذا، وإن كان قَلَّ الآنَ الاشتغال بذلك، وضعُف الاهتمام به، لكنه لا تزال بقية من أُولي الهمم العليّة يرغّبون في الأخذ من الرجال، والاتصال بأهل الكمال، حتىٰ بقيَتْ وحُفظتْ بهم سلاسلُ الاتصال، وكما قيل: «في الزوايا خبايا».

(١) «صحيح مسلم»: المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين، برقم (٣٢).

وبين أيدينا الآن هذه الوصايا والإجازات، من الأئمّة القادات، العلماء الأثبات، الرجال الفحول، وُرّاثِ الرسول ﷺ، الجامعين بين العلم والعمل، والمعرفة بالله عزّ وجل، لمثْلِهم من ثقاة السادة، النجوم الوَقّادة، في العلم والورَع والصِّدق والزَّهادة. يسَّرَ الله ليَ الحصولَ عليها، فأحببتُ جمعها معاً في كتاب واحد، ليسهُل الاطّلاع عليها والانتفاع بها.

* * *

وقد جعلتُ قبل كل إجازةٍ ترجمةً بسيطة وتعريفاً وجيزاً بالمجيز والمجاز، لتكمُلَ الفائدة وتحصل العائدة، وهذه الإجازات هي:

الإجازة الأولىٰ: من الحبيب عمرَ بن عبد الله بن محمدٍ الحبشي للحبيب علي بن عبد الرحمن بن عبد الله الحبشي.

الإجازة الثانية: من الحبيب سالم بن حَفيظ بن الشيخ أبي بكرٍ للحبيب حسن بن إسماعيلَ بن الشيخ أبي بكر.

الإجازة الثالثة: من الحبيب محمد بن هادي السقافِ للحبيب سالمِ ابن حفيظ بن الشيخ أبي بكر.

الإجازة الرابعة: من الحبيب محمد بن هادي السقاف للسيد علوي ابن عباس المالكي.

الإجازة الخامسة: من الشيـخ محمد بن عوض بافضل للحبيب علي ابن عبد الرحمن الحبشي.

هذا وأرجو الله أن ينفع مَن قرأ هذه الإجازات أو طالعها، وأن يُثيبَني علىٰ عملي هذا بالثواب الجليل، وهو حسبي ونعم الوكيل، ونعم المولىٰ ونعم النصير، وصلّىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

كتبه

عبد القادر بن عبد الرحمن بن عمر الجنيد

الإجازة الأولى

من الحبيب عمر بن عبد الله بن محمد الحبشي

للحبيب علي بن عبد الرحمن بن عبد الله الحبشي

ترجمة

الحبيب عمر بن عبد الله بن محمد الحبشي

(١٢٨٢ ــ ١٣٦١هـ)

هو عمرُ بنُ عبد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين بن علوي بن أحمد صاحب «الشِّعب» بن محمد بن علوي بن أبي بكرٍ الحبشي ابن علي بن أحمد بن محمد بن أسد الله، إلىٰ آخر النسب العلوي المشهور.

أُعجوبة الزمان، وشمس الفضل والعرفان، الحبيب المُنيب، الوارثُ لأسرار أهلِه، والذي تجمّع سرهم فيه، ولد بِحَوطة جدِّه الحبيب أحمد بن زين المسماة بـ (خَلْع راشد)، ولم أقف علىٰ تاريخ ميلاده، غير أنه توفي وهو يناهز الثمانين من عمره، فيكون وجوده تقريباً سنة **١٢٨٢**هـ.

كان من أهل الأحوال الكبار وأصحاب الأسرار والأنوار، أخذ عن علماءِ وأعيان وفضلاءِ عصره، وفي مقدمتهم: والده الإمام عبد الله بن محمد الحبشي، والإمام الجامع الحبيب عَيْدَرُوسُ بنُ عمر الحبشي، وكان الحبيب عيدَرُوس يحبه كثيراً ويستأنس به، بل كانوا كلُّ شيوخه وأعيان زمانه يستأنسون به لما يُباسِطهم به من أحاديثه الشيِّقة وحكاياته الغريبة ونوادره العجيبة، بلهجته الجميلة وصوته الرنّان، وكان هو المنشد

والمسمِّع في مجالس الحبيب عَيْدَرُوس، لحُسن صوته وإحكامه الأداء ومعرفته بالمناسبات.

تولّىٰ منصب جده الحبيب أحمد بن زين مدةً طويلة، وكان مشهوراً بالسَّخاء والكرم وحبِّ الجَمال في المطعم والملبس والمركوب والمسكن، حسَن المنظر، جماليّ المظهر، وكان لطيفَ المعاشرة والمحادثة، يميل إلى البسط والمرح، لا يملّه جليسه ولو جلس معه المدةَ الطويلة.

وقد سافر إلىٰ جاوىٰ (أندونيسيا)، والحرمين وزنجبار (بشرق أفريقيا)، ولما وصل زنجبار نزل بها ضيفاً علىٰ العلامة الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سميط لأنه أحد تلاميذ والده، وكان وقتئذٍ الحبيب ابن سميط هو القاضي الشرعي بزنجبار.

وصادف أنْ حضر المترجَم له قراءة خبر المعراج ليلة ٢٧ من شهر رجب بمسجد الجامع بزنجبار، فطلب السيد ابن سميط من المترجم له أن يتولىٰ القراءة هو، فشرع في القراءة بصوته العذب الشجِيّ الرنان، فلما سمع الناس الذين خارجَ المسجد ذلك الصوتَ أطربهم، وهُرِعوا إلىٰ المسجد، وبلغ الخبر إلىٰ السوق، فإذا الناسُ زُرافاتٍ من كل حدب إلىٰ المسجد، حتىٰ اغتصّ المسجد بالناس وكلهم منصِتون لهذا الصوت الغريب عليهم. فبلّغ أحدُ مَن حضَر سلطان زنجبار وقال له: إن عند السيد أحمد ابن سميط سيداً من أهل حضرموت، حسَن الصوت، صفته كذا وكذا، يجيد الإنشاد والسماع. وكان السيد أحمد بن سميط ــ بحكم أنه قاضي البلاد ــ له جلسة خاصة مع السلطان كل ليلة بعد العشاء، فلمّا حضر إلىٰ

السلطان كعادته قال له السلطان: بلغني أنّ عندكم أحد من إخوانكم مِن حضرموتَ يجيد الإنشاد والسَّماع، حسنُ الصوت، فنحبه يزورنا ونسمع منه، فقال له السيد ابن سميط: الأمر صحيح، لكنه هو ابن شيخي، ولا أستطيع أفرض أمري عليه، لكني سأحاول أن أُحضره معي إذا وافق، فلما أخبر السيد ابن سميط المترجَم له بأن السلطان يحب منه أن يزوره، رفض وقال: أنا ما جئت لأزور السلطان، إنما جئت لزيارتك. وبعد محاولة وإلحاح من السيد ابن سميط وافق المترجَم له أن يزور السلطان.

وذهب مع السيد ابن سميط، فلما دخل علىٰ السلطان، اندهش السلطان وأُرْتِجَ عليه ولم يتكلم ببِنْتِ شَفَة، فانتظر السيد ابن سميط من السلطان أن يطلب من المترجم له أن يسمعه شيئاً، ولكن السلطان ظل واجماً حتّىٰ طال الوقت، وودَّعا السلطان وخرجا.

وفي الليلة الثانية، لمّا جاء السيد ابن سميط إلىٰ السلطان كعادته، قال له: كيف البارحة أتيت إليك مع السيد الذي طلبت حضوره ولم تطلب منه يسمعك شيئاً؟ فقال له السلطان: ومن يستطيع يتكلم مع ذلك السيد؟ والله لقد أُرْتِجَ عليَّ هيْبةً منه وإجلالاً له، ما تجاسرت أن أتكلم ولا كلمة واحدة.

توفي الحبيب عمر المترجَم له بـ (خَلْع راشد) فاتحة شهر رجب سنة ١٣٦١هـ[١].

---

(١) وقد أفرده بالترجمة تلميذه وربيبه السيد عبد القادر بن حسين الحبشي، وسماها «عين الطريق الصواب إلىٰ مناهل الأحباب».

ولد ١٢٨٦هـ

ترجمةُ

الحبيب عليّ بن عبد الرحمن بن عبد الله الحبشي

(١٢٨٧ ـ ١٣٧٣هـ)

ت ١٢٨٨هـ

هو السيد علي بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن حسين بن عبد الرحمن بن حسين بن عبد الرحمن بن الهادي بن أحمد بن محمد بن علَوي بن أبي بكرٍ الحبشيِّ بن علي بن أحمد بن محمد أسدِ الله، إلىٰ آخر النسب العلوي المشهور.

السيد الوقور، والشهم الغيور، والمرشد والداعي، ولد ببلد بتاوي ـ جاكارتا ـ (عاصمة أندونيسيا حالياً) سنة ١٢٨٧هـ، ونشأ بجاكارتا تحت رعاية والديه، ثم رحل إلىٰ حضرموت سنة ١٢٩٨هـ، وأقام ببلد (بور) تحت رعاية ونظر السيد عبد الرحمن بن علوي العيدروس سِبط العارف بالله الشيخ حَسن بن عوض مخدَّم.

وأخذ عمّن بحضرموت آنئذٍ من الرجال، أهل الفضل والكمال والمراتب العَوَال، كالحبيب عيدروسِ بنِ عمرَ الحبشي، والحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه، والحبيب عمر بن حسن الحداد، والحبيب طاهر بن عمرَ الحداد، والحبيب محمد بن علي السقاف، والحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور، والحبيب علي بن محمد الحبشي، والحبيب حسن بن أحمد العيدروس، والحبيب أحمد بن حسن العطاس.

ثم في سنة ١٣٠٣ عاد إلىٰ أندونيسيا وأخـذ عمن بها، كالحبيـب عبـد القادر بن قطبان السقاف، والحبيب محمد بن عيـدروسٍ الحبشي، والحبيب محمد بن أحمد المحضار، والحبيب عثمان بن عقيل بن يحيىٰ، والحبيب محمد بن طاهرٍ الحداد، والحبيب عبد الله بن محسن العطاس.

واشتغل بالدعوة إلىٰ الله، فكان كلَّ وقته ينفقه في دعوة العباد إلىٰ الربّ الجواد، وسلوك طريق السداد. وكان لوعظه تأثير كبير في نفوس السامعين. وبعد أن توُفوا كل شيوخه بأندونيسيا أصبح هو عيْنَ أندونيسيا والشخصيةَ الوحيدة اللامعة بها، وأصبح معتقَداً عند الخاص والعام.

وكان سيّداً متواضعاً خاشعاً غزير الدمعة، ميمون النقيبة والطلعة، رقيق العاطفة، حليماً صبوراً، كثير العبادة والأوراد والأذكار، وكان يعقد درساً صباح كل يوم أحد تحضره جموعٌ غَفيرة حتىٰ تمتلىء بهم الطرقات وتتوقف حركة المرور.

وله رحلات إلىٰ الحرميْن الشريفين وإلىٰ ماليزيا وسنغافورة.

وفي سنة ١٣٧١ زار حضرموت مرة ثانيةً ومعه ابنه محمدٌ الذي طلب العلم برباط (تريم) وأقام به عدة سنوات، فاستقبله الحبيب علوي بن شِهاب بغاية التقدير والمودة، وأثنىٰ عليه كثيراً وبشّره ببشاراتٍ كبيرة. وزار واستقصىٰ أكثر المآثر بحضرموت، ثم عاد إلىٰ أندونيسيا وأقام بها في دروسه ومجالس وعظِه وتذكيرِه وعباداته وأذكاره حتىٰ وافـاه الأجل، فانتقل إلىٰ رحمة الله عزّ وجلّ بجاكرتا ودفن بها سنة ١٣٧٣ تقريباً، رحمه الله تعالىٰ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي خلق الإنسان لخدمته، ورشَّحه لخلافته، وأسكنه ابتداءً في جنّته، ثم أخرجه منها لنشر دعوته وسرِّ حكمته، واختار قوماً من ذريته عبَدوه علىٰ يقين من معرفته، فأهّلَ قلوبهم لمحبته، واستعملهم علىٰ وفق مشيئته وإرادته، فهم أحباؤه وأصفياؤه من بريّته، قد هبَّت عليهم نَسَمات عنايته، جذبهم إليه بداعي هدايته، فتحركت عواملُهم للوفود إلىٰ حضرته. فأوصلهم إلىٰ ما قسم لهم من فيوضات رحمته.

فَهُم دائماً يتقلبون في حلل الصَّفا والنعم، تصُبّ علىٰ قلوبهم هَواطل الجود والكرم، التي لا تحصيها دواةٌ ولا قلم، ولو كان مِدادُها اليَمّ.

فترجمَـتِ الألسنُ الفصيحة، إشاراتِ المعاني الصحيحة، وفنـونَ العبارات المليحة، بواسطةِ ترجمانِ الحضرة المحمدية. فكلٌّ مظهر من مظاهر الكرم والجود، فهو من مرآة سيّد الوجود، فمنها بدأ وإليها يعود، لأنه النعمة الشاملة لكل موجود، والدائرة الواسعة للوالد والمولود، في الصّدور والورود.

فمن بركته اخضَرّت المراعي، وتعدّدت المذاهب، لتعدد المشارب، وتكاثروا عليها الجَائي والذاهب، وتنوّعت العبارات لاختلاف الذوات، وفهم الإشارات، بحسَب القِسَم الأزليات، فقَرّت بها عيون أهل العنايات،

ونفَرت عنها النفوس الدّنيات، وما هي إلا مواهب قسّمها الواهب، ففاز بها الأكياس وحُرِمها كثير من الناس.

ولله درُّ العارف بالله، سيدي عمر بامخرمة[١]، حيث يقول:

حَدْ سَيل في سَيْل في جرْبُه وزرْعُه طَمُولْ
وحَدْ من الطَشّ جَرْبُه جابْ طَحْبَةْ سَـبُولْ

ولقد أحسن سيدي قدوة العارفين علي بن محمد الحبشي[٢]، حيث يقول:

والعنـاية تمُـدّ الجسْم بالسِّـر والـرُوحْ
ذا وَصَلْ واتصَلْ واخَرْ بدعْواه مشْبُوحْ
قسمَةُ الله حَدْ راجح وحَدْ شُفُهْ مرجُوح
جَلّ ذي قد وهَبْ ما كُلّ حَبَّانْ ممْنُوحْ

فأهل الهمم القوية، خَطْبُهُمُ المراتبُ العلية، ففازوا بالطريقة ونالوا الأُمنيّة، وصحّت لهم معاني المعيّة، فهم في حضرة الاقتراب، وقد ولجوا الباب، وفهموا الخطاب، ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩].

وعطاءُ المولىٰ القدير، علىٰ قدره الكبير، لا علىٰ قدرك الحقير! وهنا مجال كبير للناظر، وفيه متّسَع لأهل البصائر، بحسَب الأذواق، ووُسْع

---

(١) توفي سنة ٩٥٢هـ.

(٢) توفي سنة ١٣٣٣هـ.

النطاق، والباقي باق، وبحر الكرم والجود دفّاق ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٣٠].

فمن صَفَتْ زجاجتُه، وصحّت فِراستُه، قُضيَت حاجتُه، وهذا لا يكون إلا بالتخلّي عن الكون، أعني التجرّد عن السِّوىٰ، ومجانبة الهوىٰ، وردع النفس عن الغَوىٰ، ورفع الشكوىٰ إلىٰ من يعلم السر والنجوىٰ.

فآدمُ لم ينفَعْه: يا أيها العالم اسجُدوا لآدم، وإنما نفعه ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا﴾ [الأعراف: ٢٣].

فالطريقُ مسلوكة، والأمور بيد الله مملوكة، وللإنسان ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ . وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ . لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ . إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٤-١٧].

فمن استعجل علىٰ الشيء قبل أوانِه، عوقِبَ بحرمانه، وإنما عليك أن تقف بالباب، حتىٰ يأتيك الخطاب، فتظفرَ بالأمل، ولا تتركْ صالح العمل، (بك لا نصِل، ولا بد منك في المحلّ).

وحسن الظن مفتاح باب العطا الوهْبي «**أنا عند ظن عبدي بي**»[1]، و«لولا المربّي ما عرفتُ ربّي». فمن حامَ حولَ تلك الخيام، نال المرام، وحسا تلك المُدَام، ومن رَضَعَ أخلاف الوحام، وخبط خبْط السَّوام، فلا يتوجَّه إليه كلام، فهو من جملة الأنعام. والخصوصيات بقدر الاستعدادات، فمن كمُل استعدادُه، حصَل له مرادُه:

---

(١) حديث قدسي. أخرجه أحمد في «مسنده» (٢: ٣١٥، ٤: ١٠٦)، وغيره.

ثم في سنة ١٣٠٣ عاد إلىٰ أندونيسيا وأخذ عمن بها، كالحبيب عبد القادر بن قطبان السقاف، والحبيب محمد بن عيدروسٍ الحبشي، والحبيب محمد بن أحمد المحضار، والحبيب عثمان بن عقيل بن يحيىٰ، والحبيب محمد بن طاهرٍ الحداد، والحبيب عبد الله بن محسن العطاس.

واشتغل بالدعوة إلىٰ الله، فكان كلَّ وقته ينفقه في دعوة العباد إلىٰ الربّ الجواد، وسلوك طريق السداد. وكان لوعظه تأثير كبير في نفوس السامعين. وبعد أن توُفوا كل شيوخه بأندونيسيا أصبح هو عيْنَ أندونيسيا والشخصيةَ الوحيدة اللامعة بها، وأصبح معتقَداً عند الخاص والعام.

وكان سيّداً متواضعاً خاشعاً غزير الدمعة، ميمون النقيبة والطلعة، رقيق العاطفة، حليماً صبوراً، كثير العبادة والأوراد والأذكار، وكان يعقد درساً صباح كل يوم أحد تحضره جموعٌ غَفيرة حتىٰ تمتلىء بهم الطرقات وتتوقف حركة المرور.

وله رحلات إلىٰ الحرميْن الشريفين وإلىٰ ماليزيا وسنغافورة.

وفي سنة ١٣٧١ زار حضرموت مرة ثانيةً ومعه ابنه محمدٌ الذي طلب العلم برباط (تريم) وأقام به عدة سنوات، فاستقبله الحبيب علوي بن شِهاب بغاية التقدير والمودة، وأثنىٰ عليه كثيراً وبشّره ببشاراتٍ كبيرة. وزار واستقصىٰ أكثر المآثر بحضرموت، ثم عاد إلىٰ أندونيسيا وأقام بها في دروسه ومجالس وعظِه وتذكيرِه وعباداته وأذكاره حتىٰ وافاه الأجل، فانتقل إلىٰ رحمة الله عزّ وجلّ بجاكرتا ودفن بها سنة ١٣٧٣ تقريباً، رحمه الله تعالىٰ.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي خلق الإنسان لخدمته، ورشّحه لخلافته، وأسكنه ابتداءً في جنّته، ثم أخرجه منها لنشر دعوته وسرِّ حكمته، واختار قوماً من ذريته عبَدوه علىٰ يقين من معرفته، فأهّلَ قلوبهم لمحبته، واستعملهم علىٰ وفق مشيئته وإرادته، فهم أحباؤه وأصفياؤه من بريّته، قد هبَّت عليهم نَسَمات عنايته، جذبهم إليه بداعي هدايته، فتحركت عواملُهم للوفود إلىٰ حضرته. فأوصلهم إلىٰ ما قسم لهم من فيوضات رحمته.

فَهُم دائماً يتقلبون في حلل الصَّفا والنعم، تصُبّ علىٰ قلوبهم هَواطل الجود والكرم، التي لا تحصيها دواةٌ ولا قلم، ولو كان مِدادُها اليَمّ.

فترجمَتِ الألسنُ الفصيحة، إشاراتِ المعاني الصحيحة، وفنونَ العبارات المليحة، بواسطةِ ترجمانِ الحضرة المحمدية. فكلُّ مظهر من مظاهر الكرم والجود، فهو من مرآة سيّد الوجود، فمنها بدأ وإليها يعود، لأنه النعمة الشاملة لكل موجود، والدائرة الواسعة للوالد والمولود، في الصّدور والورود.

فمن بركته اخضَرّت المراعي، وتعدّدت المذاهب، لتعدد المشارب، وتكاثروا عليها الجَائي والذاهب، وتنوّعت العبارات لاختلاف الذوات، وفهم الإشارات، بحسَب القِسَم الأزليات، فقَرّت بها عيون أهل العنايات،

ترجمةُ

الحبيب عليّ بن عبد الرحمن بن عبد الله الحبشي

(١٢٨٧ ـ ١٣٧٣هـ)

هو السيد علي بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن حسين بن عبد الرحمن بن حسين بن عبد الرحمن بن الهادي بن أحمد بن محمد بن علَوي بن أبي بكرٍ الحبشيِّ بن علي بن أحمد بن محمد أسدِ الله، إلىٰ آخر النسب العلوي المشهور.

السيد الوقور، والشهم الغيور، والمرشد والداعي، ولد ببلد بتاوي ـ جاكارتا ـ (عاصمة أندونيسيا حالياً) سنة **١٢٨٧**هـ، ونشأ بجاكارتا تحت رعاية والديه، ثم رحل إلىٰ حضرموت سنة **١٢٩٨**هـ، وأقام ببلد (بور) تحت رعاية ونظر السيد عبد الرحمن بن علوي العيدروس سِبط العارف بالله الشيخ حَسن بن عوض مخدَّم.

وأخذ عمّن بحضرموت آنئذٍ من الرجال، أهل الفضل والكمال والمراتب العَوَال، كالحبيب عيدروسِ بنِ عمرَ الحبشي، والحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه، والحبيب عمر بن حسن الحداد، والحبيب طاهر بن عمرَ الحداد، والحبيب محمد بن علي السقاف، والحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور، والحبيب علي بن محمد الحبشي، والحبيب حسن بن أحمد العيدروس، والحبيب أحمد بن حسن العطاس.

لما بلَغْنا بالنفوس ما شقّ ... نِلنا المُنىٰ[١]

فنسألُ الله أن لا يردنا عن بابه، ولا يحجب قلوبنا عن خطابه، وأن يجعلنا من خاصة أحبابه، وخلاصة أحزابه، وقد توجهنا إليه بأكرم الكرماءِ عليه، العبد المحبوب المقرب لديه ﷺ، أن يُخضِّر مرعانا، ولا يخيب مسعانا، وأن يجيب دعانا، ويصلح أعمالنا ويحقق آمالنا، ويسدّد أقوالنا، ويوسع أرزاقنا الحسية والمعنوية، ويوفر حظنا من العلوم اللدنية، بجاه خير البرية ﷺ.

* * *

هذا، وطلب مني من كانت إجابته عليّ لازمة، ومحبته عليّ قائمة، وحيث جعلني أهلاً لمطلوبه، وباباً لمرغوبه، أن أُجيزه وأوصيه، معَ أني لست بصُوفي ولا فقيه، ولا من رجال «المهذب» ولا «التنبيه»، ولا من أصحاب هذا الشان، ولا من أهليه الزيان، ولم يَحْدُني حاديهِ في الحان، ولم أَحُمْ حول بايعه وشاريه، وصاحب البيت أدرىٰ بما فيه. ولكني لحُسن ظنه أسعفته بما طلب لكوني أحبه، و«المرء مع مَن أحب»[٢].

والطالبُ للوصية والإجازة هو فرع الدوحة الهاشمية، وقرّة عين الطلعة المحمدية، ونجل السادة الحبشية، أخونا المُجدّ في السير، الطاير

---

(١) من قصيدة للسيد أبي بكر بن عبد الله العيدروس (العدني).

(٢) إشارة لحديث نبوي، متفق عليه من حديث ابن مسعود: البخاري في كتاب الأدب (٦١٦٨)، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٦٤٠).

مثـل الطيـر، الداعي لعباد الله إلىٰ كل خير، من حَسَا خمرَ الدَّير، ولم يلتفت إلىٰ الغير، حتىٰ حَدا الحادي، إلىٰ ذلك النادي، حيث المنادي يسمع المنادي، فحنّت روحُه اللطيفة، إلىٰ تلك المعاهد الشريفة، والمشارب الذوقية في المقاعد الصِّدقية، والمراتب العِنديّة، فوا شوق الفؤاد للعيشة المرضيّة مع الأحباب في الغرف العليّة، بلّغنا الله وإياه أقاصيَ الأُمنيّة.

وأعني به السيد الكريم، العليم بلا تعليم، والفهيم بلا تفهيم، الذي لم يزَلْ يناضل، ويرد الجاهل، ويعدل المائل، عن طريق تكدير صفا تلك المناهل: الحبيب الأخ الفاضل علي بن عبد الرحمن بن عبد الله الحبشي، لا زال على طريقة الأسلاف يمشي، ومن الآثار والأسرار يَنْشي، خضَّر الله مراعيه، وأظهر فيه سر أهْليه، ويزيده فوق ما يرتجيه، والإناء ينضح بما فيه.

* * *

فأقول: أوصيك أيها الأخ بوصيّة الله الربِّ المطلوب، بما وصّىٰ بها إبراهيمُ بنيه ويعقوب، وهي تقوىٰ الله في كل مرغوبٍ ومرهوب، فإنها باب الوصول إلىٰ كل مأمول، وهي وصية الله، وفيها رضاه، فلا وصول إلىٰ خير إلا من بابها، ولا عثور علىٰ كنز من كنوز البر إلا باستصحابها. وهي الخَصلة الجامعة، والجُنّة المانعة، والحجة القامعة، الدامغة لوساوس الشيطان، عن قلب الإنسان. وقد جُمعت في كلمات مختصرات، وهي: فعل الطاعات، وترك المنكرات، مع الصدق مع الله في الحركات والسكنات، علىٰ اختلاف المعاملات. ولا تقل: هذا الأمر صعب، وكيف يتأتىٰ والإنسان ضعيف؟

فإن حصل معك شيء من هذا فأقول لك: اعلم أن الله سبحانه وتعالىٰ لم يكلف النفوس إلا بحسب استطاعتها، وما عليك إلا النهضة بمساعدتها والإقبال علىٰ الله بكُنْه الهمة، وهذا من أعمال القلوب، فإذا حصَلت النهضة مع الصدق في الإقبال فقد تمت عليك النعمة، ولا عليك أن تكمُلَ أعمالك، لأن شهود نقْصك هو كمالك، فالتمام علىٰ الله لا عليك، فربما سهّل الله لك من يأخذ بيديك، فتسيرُ بسيرٍ غير سيرك، والشأن كل الشأن في الصدق مع علاّم الغيوب، وقيراطٌ من أعمال القلوب الطاهرة يعدل قناطير من أعمال الجوارح الظاهرة.

والمقصود من العبد هو توحيد الله، وليس المراد من علم التوحيد نقْلَهُ ولا حفْظَه ولا فهمه، إنما المراد أن تذوقَه وتلتذَّ به كالماء البارد ويسريَ في جميعك. وكذلك جميع المقامات، لا فائدة فيها إلا أن تكون حاصلة للعبد حالاً وذوقاً وأثراً، فكم من عالِم بها وليس عنده رائحة منها.

فإن أردتَ الترقي يا أخي بلا كلَف، فدونَك طريق السلف، فهي أحسن الطرق وأوسعها وآمنها، أعني طريق السادة أسلافنا العلويين، فهي التي لا ترىٰ فيها عِوجاً ولا أمْتاً، وهي الطريق السمحة الموصلة إلىٰ الجنة، فدونك فأرق بلا محنة.

* * *

واْعلم أن الترقي ـــ كما نبّه إليه بعض العارفين ـــ علىٰ أربعة أقسام:

الأول: الترقي لله، وهو عبارة عن تعليم العبد العلومَ النقْلية والعقلية،

وهذا الترقي فرض علىٰ كل مسلم، فإنه به يستقيم دينه، وهو ترقٍّ من الجهل إلىٰ العلم.

والقسم الثاني: الترقي إلىٰ الله، فهو عبارة عن السلوك إلىٰ الله علىٰ سنن الطريق الواضح، بالذكر والمحبة والجَذَبات. وهذا الترقي بناؤه علىٰ الأعمال، سواءٌ كانت قلبية أو قالبية. والترقي الأول بناؤه علىٰ العلوم، سواءٌ كانت علوماً بالله، كأصول الدين، أو بأمر الله كباقي الشرائع.

وأما الترقي الثالث: فهو ترقي الواصلين علىٰ اختلاف درجات الوصل.

وأما الرابع: فهو الترقي بالله، فعبارةٌ عن الرجوع من الحق إلىٰ الخلق، وإليه يشير من يقول شعراً:

الله أكبرُ حُـقَّ لي أن أنثَـني   وأرىٰ نعيمَ الحِبِّ طيَّ عذابِهِ

وبالجملة؛ فالمترقُّونَ علىٰ أقسام:

فمنهم: من يترقىٰ من مواطن المعصية إلىٰ مواطن الطاعة، ثم يترقىٰ من نفس المعصية إلىٰ الطاعة، وهو ترقِّي عامةِ المسلمين.

ومنهم: من يترقىٰ من الغفلة إلىٰ الذكر، وهو ترقّي السالكينَ في بدايتهم.

ومنهم: من يترقىٰ من الأخلاق المذمومة إلىٰ الأخلاق المحمودة، وهو ترقي السالكينَ في نهاياتهم.

ومنهم: من يترقىٰ من الخَلْق إلىٰ الحق، فلا يرىٰ موجوداً سوىٰ الله تعالىٰ، وهذا نهاية الترقي إلىٰ الله وبداية الترقي في الله.

□ ومن هنا بداية ترقِّي العارفين علىٰ حسَب درجات المعرفة:

فمنهم: من يترقىٰ من صفاته إلىٰ صفات الحق، فيشهد سمعُه، وبصره، وعلمه، وحياته، وإرادته، وقدرته، وكلامُه لله تعالىٰ بالتبرّي من الحول والقوة.

ومنهم: من يترقىٰ من نفسه إلىٰ الله، فيَفْنىٰ عنها بالكلية.

ومنهم: من يترقىٰ من فنائه إلى البقاء في الله، فيبقيه الله تعالىٰ ببقائه.

وعلىٰ كل حال؛ فالترقي لا ينقطع لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأن الله تعالى لا نهاية له، ولهذا أُمر سيّد الكل ومعلّم الكل بأن يقول: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

* * *

ثم اعلم يا أخي: بأنه علىٰ قدر حبك لله يحبك الخلق، وعلىٰ قدر خوفك من الله تهابُك الخلق، وعلىٰ قدر شغلك بالله تشتغل بأمرك الخلق.

واعلم أن كل من ٱدعىٰ ثلاثاً بغير ثلاثٍ فهو كذاب:

١ ــ مَن ادعىٰ حب الله من غير ورع عن محارمه، فهو كذاب.

٢ ــ ومَن ادعىٰ محبة النبي ﷺ من غير اتباع له، فهو كذاب.

٣ ــ ومَن ادعىٰ حب الجنة من غير عمل صالح، فهو كذاب.

وإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له باب العمل وأغلق عليه باب الفترة والكسل.

واعلم أن السلامة كلها في اعتزال الناس، والفرح كله في الخلوة بالله، وإذا ظُلمت فلا تظلم، وإذا مُدحت فلا تفرح، وإذا ذممت فلا تحزن، وإذا كذّبوك فلا تغضب، وإذا خانوك فلا تخُنْهم، واقصدِ الله بهمتك، وأفرده بطاعتك، واكتفِ به في توكّلك، وارضَ به عوضاً من كل شيء، واعلم أن غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه، وخَفا مكانِه عنهم.

❊ ❊ ❊

واعلم أن الناس علىٰ قدر مراتبهم في دار الدنيا أربعة أقسام:

فقسم: ملوك الدنيا والآخرة.

وقسم: فقراء الدنيا ملوك الآخرة.

وقسم: ملوك الدنيا فقراء الآخرة.

والرابع: فقراء الدنيا والآخرة.

فالقسم الأول: هم الملوك العادلون ومَن في مقامهم. والقسم الثاني: الفقراء الصابرون. والقسم الثالث: الأمراء الظالمون. والقسم الرابع: الفقراء الكافرون.

فهم بين سعيد وأسعد، وشقيّ وأشقىٰ، فالأسعد: من ملك الدنيا والآخرة، والسعيد: من ملك الآخرة وترك الدنيا. والشقيّ: من ملك الدنيا وخسر الآخرة، والأشقىٰ: من خسر الدنيا والآخرة.

❊ ❊ ❊

وكذلك، تفاوَتَ الناس في ذلك وعلاماتهم في محبة الدنيا ومحبة الآخرة، فانقسموا خمسة أقسام:

١ ــ فقسمٌ: يحبون الآخرة أكثر من الدنيا، وعلامتُهم: أن لا يرتكبوا في طلب الدنيا مكروهاً، كأداء الصلاة في وقت الكراهة، وارتكاب ما يكره في البيع، أو ما يشكل ذلك.

٢ ــ وقسمٌ: يحبون الدنيا أكثر من الآخرة، وعلامتهم: أن يرتكبوا ــ في تحصيل الدنيا ــ مأثماً كبيراً كتأخير الصلاة عن وقتِها، والحلفِ الكاذب في المعاملات.

٣ ــ وقسمٌ: يحبون الآخرة مثل حبهم للدنيا، وعلامتهم أن يرتكبوا في تحصيل الدنيا مكروهاً لا محرَّماً.

٤ ــ وقسمٌ: يحبون الآخرة ولا يحبون الدنيا مطلقاً، وعلامتهم: أن لا يأكلوا لقمةً، ولا يخطوا خطوة إلا لله.

٥ ــ وقسمٌ: يحبون الدنيا ولا يحبون الآخرة مطلقاً، وهم الكفار.

وهذا ميزانٌ يزن به نفسَه كلُّ إنسان، إذا أراد معرفة ذلك من نفسه أو من غيره، فهو غايةٌ في البيان.

* * *

ولا خوف علىٰ الإنسان من التباس الطريق عليه، وإنما يخاف من غلبة الهوىٰ، فالطريق وسبيل الحق ظاهرة، وأدلتها قائمة، وبراهينها مسلَّمة لا نزاع فيها إلا لأهل الهوىٰ، لأن الله قضىٰ بأحوالٍ يأتونها دونَها،

فلا بد لهم منها فيما زَيَّن الله لهم، سلكوا وإمامُهم في ذلك الهوىٰ؛ لأن تلك الزينةَ بدت للابتلاء والاختبار، ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠].

فمن كان مع أهل السمع والطاعة، وخاف مقام ربه عند بُدُوّ الزينة، ونهىٰ النفس عن الهوىٰ، فإن الجنةَ له من الله هي المأوىٰ، ومَن كان من أهل الهوىٰ اتَّبعَه، مؤثراً لشهوة نفسه علىٰ نهْيِها ومخالفتها عن الهوىٰ؛ لأنه لا إمامَيْن، كما لا طريقين، فطريق الخير بأهلها وأئمتها واحدة، وهم بها واحد.

* * *

فلا يُخاف عليك ــ بعد بيان الطريق ووضوحها ــ الالتباس، وإنما يُخاف عليك: اتباع الهوىٰ، لكونه طريقاً مسلوكاً فتحسبها المطلوب، وهذا واقع بأهل العصر، وهو المستولي بالظفر في أقطار أنديتهم، وهم لا يشعرون، ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وهم: ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٤]، وللهوىٰ متبِعون، عافاهم الله وإيانا بكرمه، آمين.

وهذا الحائل الذي يحول بين المرء وقلبه، والمتوهِّم يتوهم أن الطريقة ملتبسة، أو ممنوعة، أو غير صحيحة، أو سالكوها أو مُسَلِّكُوها غير موجودين، وهذا آفة الهوىٰ وزينة الهوىٰ في محبتها كما مر.

وهذا الذي حَبَس من حَبَس، وهذا الذي عاق مَن عاق، وأخذ بالطوق والساق، وهذا الإلهُ استغرق أكثَرَ الخلق حتىٰ عبدوه، في الأصنام، والشمس، والقمر، والنجوم، وغير ذلك، ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ

عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، «لكل قومٍ عِجْل، وعِجل أُمتي الدِّرهمُ والدينار»(١)، ألهاهم الهوىٰ بغَلَبة التكاثر، فمنهم المُقال، ومنهم إلىٰ المقابر يُحال، فأنساهم ذكر الله.

* * *

واعلم يا أخي أن رأس الأمر كله هو تقوىٰ الله، الذي لا إله إلا هو، فهي الدِّين كله، فمن لا تقوىٰ له لا دينَ له، وهي مشروحة في كُتب العلماء الأعلام، وفيها خيرات الدنيا والآخرة، ولا سبيل إليها إلا بالتوبة النصوح، وهي: أن تُطيعه ولا تعصيَه، وتذكرَه فلا تنساه، وتشكرَه فلا تكفره. وهي تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام، وكل قسم من هذه الثلاثة ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام أخرىٰ.

فالقسم الأول: شروط صحةٍ، وهي ثلاثة:

١ ــ الندم علىٰ ما فات.

٢ ــ والإقلاع في الحال من المخالفات.

٣ ــ والعزم علىٰ أن لا يعود فيما هو آت.

وشروط تحقيقٍ، وهي ثلاثةٌ، أيضاً:

١ ــ تصميم القصد إلىٰ الله؛ لأن التوبة وإن صحت من بعض الذنوب مع البقاء علىٰ ذنب آخر فصاحبها ناقص، وقلّ أن يسلم من العوذة، لمَا عنده

---

(١) ذكره المتقي الهندي في «كنز العمّال» برقم (٦٢٥٩).

من طبع المخالفة، وأداء الحقوق الواجبة لله من الصّلاة والصيام والزكاة والكفارات وغيرها.

٣ــ وردّ المظالم المالية باتفاقٍ، والعِرْضِية علىٰ المشهور.

وشروط كمالٍ، وهي ثلاثة أيضاً:

١ ــ التشمير في المستأنف بدلاً من التقصير في السالف.

٢ ــ والفرار من موارد الفتن بكل وجهٍ أمكن.

٣ــ والحرص علىٰ تحصيل الكمال له بأي وجه كان.

فمن فاتتْه شروط الصحة فلا توبة له، ومن فاتته شروط التحقيق فهو عاصٍ، وقلّ أن يسلم من آفات الانقلاب، ومَن فاتته شروط الكمال فلا يجد لتوبته لذة ولا يدرك لها نتيجة، وكل واحدة لا تصح إلا بعدَ ما قبلها.

وهذا علىٰ الإجمال من غير تفصيل، ولو فصلت هذه الأشياء لاحتاج إلىٰ مؤلَّف كبير، وفي هذا غُنْية للطالب وتشويق للراغب إلىٰ أعز المطالب، والأمر لله والتوفيقُ بيد الله ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤]، «**وكفىٰ بالقرآن واعظاً**»(١)، ومعلماً ومرشداً وهادياً ودليلاً، وما عليك إلا الحركة وعلىٰ الله البركة.

* * *

---

(١) لم أجده؛ والمشهور: «كفىٰ بالموت واعظاً». أخرجه الطبراني وغيره، «مجمع الزوائد» (١٠ :٣٠٨).

هذا، والعبد المراد غيرُ المريد، والأسعد غير السعيد، فمن كان مخطوبَ الذات ومحبوب الصّفات، تولته العناية، من غير طلب ولا دراية، فصار العبد المحبوب، سالكاً ومجذوب، ولقد أحسن من قال في معنىٰ ذلك شعراً[(١)]:

رُبَّ عبـدٍ تقـودُه الأقـدارُ ... للمَعالي وما لذاك اختيارُ
غـافـلٌ والسعـادةُ احتضَنَـتْـهُ ... وهْو منها مستوحِشٌ نَـفّارُ
يتَعاطىٰ القبيحَ عمْداً فيلقا ... ه جميـلاً وفَلْسُـه دينـارُ
كلّمـا قـارفَ الـذنوبَ أتَـتْـهُ ... تـوبـةٌ طهَّـرتْـهُ واستغفـارُ
وعليـه عيْـنٌ تقِيـهِ مِـنَ اللـ ... ـهِ وفضـلٌ ويَستُـرُ الستّـارُ
فهْـو بـاللـهِ دائمـاً يتـرَقـىٰ ... لا بهِ حيثُ تُشرقُ الأنوارُ
وفتـىً كـابـدَ العبـادةَ حتـىٰ ... منـهُ قـد مَـلَّ ليلُـهُ والنهـارُ
يتسَامىٰ بالذكْرِ والفكرِ قصْداً ... وهْو ناءٍ وعنه شطَّ المَزارُ
يفعلُ الخيرَ ثم يَلقاه شَرّاً ... وإذا رام جنـةً فهْـيَ نـارُ
حِكَـمٌ حـارَتِ البـريّـةُ فيهـا ... وحقيـقٌ بـأنهـا تحتـارُ
وعطايا من المهيمِن دلّتْ ... أنـه الله فـاعـلٌ مختـارُ

انتهىٰ. اللهمّ اجعل سيئاتنا سيئات مَن أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت، فمن لاحظتْه عين العناية، سلك الله به سبيل الهداية.

شعراً:

---

(١) القائل هو الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي المتوفىٰ سنة ١١٤٣هـ.

وإذا حلَّت الهدايةُ قلباً نشِطت للعبادةِ الأعضاءُ

* * *

والمقصود من هذا كله: معرفة الله علىٰ اليقين الخاصّ، وتوحيدُه مع الإخلاص، ورجوع الأشياء إلىٰ محلها. شعراً:

يا أيها الروحُ، هل تَرضَىٰ مُجاورةً علىٰ الدَّوامِ لهذا المُظلمِ الكدِرِ
فأيـن كنـتَ ولا جسـمٌ تُساكِنُهُ؟ ألستَ في حَضَرات القُدْسِ! فاذَّكِرِ
تأوي معَ الملإ الأعلىٰ وتَـكْرعُ مِن حياض أُنْس كما تجني من الثمرِ
تأتـي إليـكَ نسـيمُ القُربِ مُهْـدِيـةً عرفَ الجمَال كعرف المَنْدل العطرِ
حتىٰ جُعِلْتَ بأمر الله في قَفَصٍ لِيَبْتَليـك، فكـن مِـنْ خَيْـرِ مختَـبَـرِ

إلىٰ أن قال:

أَنْسَتْـكَ بهجتُـه مـا كنـتَ تشهَـدُهُ من قدْسِ ربِّك فاعرِفْ ضَيْعَةَ العمْرِ
رضِيْتَ بالفكرِ عن كشفٍ وأيْنكَ من جلِيّـةِ الحـقِّ إن أخلَـدْتَ للفِكَـرِ

* * *

واعلـم يا أخـي، وفقنـي الله وإيـاك لمَـراضيـه، أنـه مَن قتـل غلامَ شهَواتـه، وبنـىٰ جدار طاعـاتـه، وخـرق سفينـة عوائـد نفسه، خُرِقَتْ لـه العوائـد، وبُسطـت له الموائـد، وجاءتـه الصلـة والعائد، ففـي الاجتهاد، تحصيل المراد.

* * *

وأوصيك يا أخي بحفظ الجوارح؛ لأنّها جوامح، وخصوصاً اللسان، فإنه ليس له ميزان، وخطأه أكثر من الصّواب.

* * *

وعليك بمدارسة القرآن آناء الليل وأطراف النهار، وبأوراد ساداتنا العلويين وما لهم من أحزاب، فإنها حصن حصين من كيد الشياطين، واللهَ الله في نشر الدعوة إلىٰ الله، وإرشاد عباد الله إلىٰ ما يحبه الله، فإنها طريقة النبيين، ووظيفة سيد المرسلين، وحرفة عباد الله الصالحين.

الخَلْق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله، ولا يريد أحد أن ينفع خلق الله بمثل دعوتهم إلىٰ باب الله، وقد قلَّ في زماننا الداعون إلىٰ الله والمصلحون بين الله وبين خلقه، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

وأوصيك بالرضا عن الله في السرِّ والنجوىٰ، واطِّراحِ الهوىٰ والدعوىٰ والتبرّي عن الحول والقوة، ومحبة المسلمين واحتمال الأذىٰ منهم وكفّه عنهم، وعرِّفْهم حقوق الله عليهم بالرفق واللين، فبهما يتمكّن في قلوبهم الدين، وينقادون لله رب العالمين، فإن: **«الرفق ما دخل في شيء إلا زانه، ولا خرج من شيء إلا شانه»**.

* * *

وعليك بالزهد في الدنيا الدنيّة، فحبها رأس كل خطيّة، ومحبتها

حجاب قاطع عن السر والوصول، عن نيل المأمول، فلا تشغل قلبَك بها، ولا تلتفت إليها، واجعل شغلك ربك.

واعلم أنه إذا أراد الله بعبد خيراً: ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقَّهه في الدين، وعضَّده باليقين، فاكتفىٰ بالكفاف، واكتسىٰ بالعفاف.

وإذا أراد الله به شرّاً حبَّب إليه المال، وبسط منه الآمال، وشغله بدنياه، ووكلَه إلىٰ هواه، فركب الفساد، وظلم العباد.

❊ ❊ ❊

واعلم أن الثقةَ بالله أزكىٰ أمل، والتوكل عليه أوفىٰ عمل، ومن لم يكن له من دينه واعظ، لم تنفعه المواعظ، ومن سره الفساد، ساءهُ المعاد، في يوم يحصُد كلٌّ ما زرع، ويجزىٰ بما صنع، وثمرات العلوم، لا تحصُل إلا بالعمل بالمعلوم.

❊ ❊ ❊

ولا يكمل للإنسان دينه حتىٰ تكونَ فيه أربع خصال:

١ ــ يقطع رجاه مما في أيدي النساء والرجال.

٢ ــ ويسمع شتم نفسه ويصبر علىٰ القيل والقال.

٣ ــ ويحب للناس ما يحبُّه لنفسه في كل حال.

٤ ــ ويثق بمواعيد الله ذي الجلال.

❊ ❊ ❊

وأوصيك بصلة الأرحام، والصّلاة بالليل والناسُ نيام، وبالكرم وسماحة النفس.

وبالمداومة علىٰ هذا: كلِّه أو بعضه، فبالتكرير يحصل التأثير، ولا بد أن ترىٰ طوالع التباشير، بالعطاء من فضل الله الواحد القدير، فأقبل علىٰ الله ولا تخاف، فإن له من خفِي الألطاف، ما يجلُّ عن الأوصاف، ويُعجز الوُصَّاف، والمولىٰ يشتاق إلىٰ عباده، ويدعوهم إلىٰ حضرته وزاده، ألا وإنَّ خيْـرَ الزَّادِ التَّـقوىٰ.

* * *

ومما أوصَىٰ به سيدنا العيدروس الأكبر: قال رضي الله عنه ـــ وهي من وصاياه الجامعة النافعة، المناسبة لأهل الزمان ـــ قال: (اعلم أنه لا يتصور أن ينظر الناس كلهم إليك بعين الرضىٰ، ولو كنت أكمل خلق الله، بل بعضُهم مادح، وبعضهم قادح، فاتخذ الناسَ جميعاً أصدقاء بمحبةِ الموافقين، ومُداراة المخالفينَ الذامِّين، وعدم الإنكار علىٰ المنكرين عليك منهم، فإنهم قد غلبت عليهم صفاتٌ بشرية، كما غلبت عليك بعض صفاتك وشهواتك، وأحسن إلىٰ من أساء إليك منهم.

وكن أنصح الناس للناس ولو كرهوا النصيحة، تكن عندهم أعز الناس، ولا تجادل أهل الحسد لك منهم، ولا تطمح في رضاهم عنك أصلاً، خصوصاً أهل الجاه منهم، فمن غلب عليه حب الجاه، غلب عليه حب الحسد لا محالة.

وعليك بحسن الظن بكل مؤمن، فإن كل مؤمن بالله ولِيٌّ لله، ولا يصُدَنَّك عن حسن الظن بالمؤمنين ما يصدر منهم من حسد بعضهم لبعض، من العداوة والبغضاء لأجل حب الدنيا، فإنهم غير معصومينَ من الذنوب والخطايا، ولعل لهم أعمالاً صالحة تكفر تلك الذنوب، فإنّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئات، فيجمعُهم الله برحمته، في دار كرامته، ولا يدخل الجنة إلا ولِيٌّ لله). انتهىٰ كلام العيدروس.

* * *

فاعلم يا أخي أن أصل الولاية، يحصل بالشهادتيْن، ولذا قال بعض العارفين: (إياك ومعاداةَ أهل لا إله إلا الله، فإن لهم من الله الولايةَ العامّة، فهم أولياء الله، وإن أخطأوا وجاءوا بقراب الأرض خطايا لا يشركون بالله شيئاً، فإن الله تعالىٰ يتلقاهم بمثلها مغفرة)، فنسأل الله أن يغفر زلاتنا، ويتحمّل تبعاتنا، ويقضي حاجاتنا، ويبارك في حركاتنا وسكناتنا.

* * *

وقد أجزتك بأوراد ساداتنا العلويين، أخص منهم: سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد وما له من الأحزاب والكتب، فإن فيها النور التامّ، والرزق العام، كما أني قد أخذتها بالإجازة من مشايخي الكرام، وسلسلة إسنادي بهم قوية، ورابطتي بهم مكينة.

فقد أجزتك كما أجازوني، ودعوتك إلىٰ ما له دعوني، رجاءً منك لصالح الدعَوات، في الخلَوات والجلوات، لي ولإخواني السادة العلويين،

فإنهم ضائعون، وعن طريقة أسلافهم زائغون، وعن المعالي رابِضُون، وعلىٰ غير شيء قابضون، قد شملهم الجهل البسيط، ولبسوا درعه المحيط، حتىٰ أوقعهم في التفريط.

وقد كانوا آباؤهم علىٰ سَنَنِ الصراط، وقد أخذتهم (جاوة)، وغاضت بحيرة ساوة، فالسيدُ فأسٌ بلا هراوة، والقلوب في غمرة القساوة، والذين في حضرموت غالبهم بداوة، وهم أهل المدينة، وطينتهم من خير طينة، فالمدينة: رسول الله، وأهلها: أهل بيته الذين طهرهم الله، ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [التوبة: ١٢٠]. واليومَ الحالُ ضدَّ أمْسِه، ووقع الأمر بعكْسِه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ارتَدَوا برداءِ الجهل، وتركوا الفرض فضلاً عن النفل، ورغبوا عن مراتب الفضل، فأعطوا الدنيا قلوبَهم، واستغرقت منهم الإحساس، فعادوا بالإفلاس، فلا يصلحهم إلا العلمُ الشريف، وسلوك الطريقة السالمة عن الزَّيْغ والتحريف، فلو تأملوا كتُبَ أسلافهم في الطول والعرض، لرأوا التفاوت مثل ما بين السماء والأرض، ولكنْ «تقرأ زَبورَكَ علىٰ مَن يا داؤود»؟! وإن وعد الله لآتٍ باليوم الموعود.

فقد أخذتهم العوائد، فهم لها بين قائم وقاعد، وقد قال الحبيب أحمد بن عمر بن سميط: (شجرة العوائد تُسقىٰ بماء التكلف، فتُثمِرُ البعد عن الأوطان والأهل والإخوان).

هذا، وادعوا لنا بصلاح الأحوال، في الدنيا ويوم المآل، فإنا لكم داعون، ولكم منا مزيد المحبة وأكيد الود.

والسلام عليكم وعلىٰ من شملته دائرتكمُ الكريمة

واطلبوا لنا الدعاءَ من أهل الفضل في تلك الجهات، هذا ما فتح الله به العظيم الأعظم، والكريم الأكرم، ورقمَهَ البنان، ونطق به اللسان، من أسير الذنوب والعصيان، الذي لا هو مع أهل الدنيا ولا مع أهل الآخرة استراح، مع قلة متاعه وقِصَرِ باعه وكثرة غُثاه وصراعه، العبد الأقلّ عمر ابن عبد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي، ستر الله معايبه، وكثّر مواهبه، وأغناه به عمن سواه، ولطف به في آخرته ودنياه.

هذا ما جرىٰ به القلم، وقد رُوي عن الحبيب الأعظم: «**يأتي زمان يكون فيه زعيم القوم أرذلهم**»[١]، فالرجاء أن يسبل الله ذيل ستره عليّ وعليك وعلىٰ إخواننا العلويين وسائر المسلمين عموماً، إنه كريم وهّاب.

وحرر في حوطة الحبيب أحمد بن زين الحبشي في فاتحة شهر رجب الأصب سنة **١٣٤٤** من هجرة شجرة الدين والشَّرف، صلىٰ الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) ورد عند الترمذي (٢٢١٠) من رواية الإمام علي كرم الله وجهه، رفعه: «**إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء**»، وذكر منها: «**وكان زعيم القوم أرذلهم**»، الحديث. وهو في أبواب الفتن. ورواه الطبراني في «الأوسط» (٤٦٩)، و«الكبير» (١٨: ٥١) (٩١).

قال جامعه:

وبعد، فقد نقلت هذه الوصية والإجازة من سفينة الوالد الجليل المرحوم الحبيب عبد الرحمن بن جنيد بن عمر الجنيد[١]، وهو نقلها من نسخة الموصَىٰ والمجَاز الحبيب علي بن عبد الرحمن الحبشي كما ذكر ذلك.

ثم اطلعتُ علىٰ مجموعٍ عند الأخ هاشم بن أحمد الحبشي بأبو ظبي، يحتوي ذلك المجموع علىٰ وصايا وإجازات ومكاتَبات من الحبيب عمر بن عبد الله الحبشي الموصِي المذكور، وبعضٍ من نظمِه الحَكَمي والحُمَيني، ومن ضمن ذلك: «وصية وإجازة» من الحبيب عمر للحبيب علي بن عبد الرحمن الحبشي الموصىٰ والمجاز في هذه الوصية، ولمّا قابلت بينها وبين هذه الوصية والإجازة وجدت بينهما اختلافاً في أوائلهما وأواخرهما، وتاريخهما متفق ومتحد، ولكن في الوسط وجدت تلك تختلف عن هذي بكثير، وأيضاً هي أطول من هذه ، ولعل الحبيب عمر لما رأىٰ طول تلك، اختصرها في هذه، وأبقىٰ تلك علىٰ حالها، والله أعلم.

❑ ❑ ❑

---

(١) توفي بالمدينة المنورة سنة ١٣٦٩هـ. ترجمته في «الدليل المشير»، و«العقود المسجدية».

الإجازة الثانية

من الحبيب سالم بن حفيظ بن عبد الله
ابن الشيخ أبي بكر

للحبيب الداعية حسن بن إسماعيل بن الحامد
ابن الشيخ أبي بكر

ترجمة

الحبيب سالم بن حَفيظ بن الشيخ أبي بكر

(١٢٨٨-١٣٧٨هـ)

هو السيد سالم بن حفيظ بن عبد الله بن أبي بكر بن عيدروس بن عمر بن عيدروس بن عمر بن أبي بكرٍ بن عيدروس بن الحسين ابن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي صاحبِ عينات إلىٰ آخر النسب المشهور.

كان الحبيب سالم من الخواصِّ المقربين أهل المعرفة واليقين، والولاية والتمكين، فهو الإمام الجامع بين الشريعة والطريقة والحقيقة، العارف بالله والدال عليه، جمع بين العلم الظاهر والباطن، خليفة جده المختار، وسلفه الأبرار، كثير العبادة والأوراد والأذكار، آناء الليل والنهار، فلو رآه القشيريُّ لأثبته في «رسالته»، وعدّه من قومه وعشيرته.

حسن الشمائل، وعين الأماثل، والحاوي للمحامد والفضائل، علاّمة واسع الاطلاع في كل العلوم، صوفي المنزع والأذواق والفهوم، كان من أعيان حضرموت ورجالها الذين تدور عليهم في وقته رحىٰ كمالها، جَمَّ التواضع والورع، بعيداً عن الشهرة، كثير الصمت، حسن السمت، عظيم القدر والنعت، من الذين يمشون علىٰ الأرض هَوْناً، وإذا خاطبَهُم الجَاهِلونَ قالوا سَلاماً، محبوباً عند الناس، من كل الطوائف والأجناس.

ـ ولادته ونشأته:

ولد في بندر (بندواسة) من جهة أندونيسيا في ٢٥ شهر شوال سنة ١٢٨٨هـ، ورباه والده الحبيب حفيظ واعتنىٰ به، وكان والده الحبيب حفيظ من أهل الصلاح والاستقامة، والعقل الراجح، والرأي السديد، وله تعلق تامّ وارتباط بعلماء وقته وأوليائه وصلحائه، كالحبيب أحمد بن محمد المحضار، والحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور، وغيرهما من فضلاء عصره، وله ــ من الكثير منهم ــ مكاتبات تفيض بالثناء الجميل عليه.

وفي سنة ١٢٩٧هـ قدم الحبيب حفيظ إلىٰ حضرموت من (جاوىٰ) ومعه ابنه الحبيب سالمٌ المترجَم له وسنُّه نحوُ تسع سنوات، وأقام ببلدة (مشطه) المعروفة، التي تبعد عن (تريم) بأقل من نصف مرحلة.

وشرع الحبيب سالم في قراءة القرآن علىٰ المعلم الشيخ عبود بن سعيد باشعيب، ثم علىٰ المعلم الشيخ عبد الرحمن بن حسن باشعيب. وفي أوائل سنة ١٣٠٤هـ أخذه والده إلىٰ تريم لطلب العلم، وأنزله في بيت الشيخ عبد الله بن أحمد باغريب، وأعاد قراءة القرآن عليه.

ـ طلبه للعلم ورحلاته العلمية:

وبدأ الدراسة علىٰ العلماء الموجودين بتريم في ذلك العصر، وفي مقدمتهم: الحبيب عبد الرحمن المشهور، فقد لازمه وكان يبيت في بيته، فيستيقظ معه، يستيقظ من الليل ويذهب معه قبل الفجر إلىٰ مسجد الشيخ علي بن أبي بكر السَّكران ويصلي معه الفجر، وبعد الصلاة يقرأ مع بقية

الطلبة علىٰ الحبيب عبد الرحمن في المختصرات، ثم بعد الإشراق يذهب إلىٰ بعض الشيوخ إلىٰ بيوتهم أو إلىٰ بعض الزوايا، وهم نحو الاثني عشر شيخاً، للتلقي عنهم والقراءة عليهم والأخذ منهم. هكذا ديدنه كل يوم: منذ الإشراق حتىٰ قرْبِ الظهر، يتنقل من شيخ إلىٰ شيخ.

وفي سنة ١٣٠٥هـ رحل إلىٰ (سيون) للأخذ عمن بها من العلماء، فقرأ علىٰ أكثر علمائها وفضلائها، وأخذ يتردد بين (تريم) و (سيون) نحو سنتين ونصفٍ للأخذ عن الرجال، والاتصال والاستمداد من أهل الكمال، حتىٰ فاضت أنهاره، وبسَقت أشجاره، وأينعت ثماره، فعاد إلىٰ بلده (مشطه) وعقَد الدروس، فدرس عليه كثير من الطلبة وتلقَّوا عنه وتخرجوا به، إلاّ أنه لِمَا جُبل عليه من التواضع الجَمّ وعدم محبة الظهور، لم يُقم مجالس عامة، ولم يعقد دروساً واسعة النطاق تضم العدد الكبير من الطلبة، ولم يتصدَّ للخطابة والوعظ في المجالس والمحافل العامة، وخاصة في حياة مشايخه، وسترىٰ أنه ــ من تواضعه ــ كان يستمد ويستجيز عمن كان أقل منه علماً وسناً.

وفي سنة ١٣٢٠هـ، حج حَجَّة الإسلام، وأخذ عمّن بالحرميْن الشريفين من أهل العلم والفضل ومن الوافدين إليها في ذلك العام، ثم عاد إلىٰ وطنه، واستمر في دروسه وعباداته وعاداته الخيرية حتىٰ سنة ١٣٥٥هـ، فحج حجة ثانية، وبعد أداء الحج سافر إلىٰ أندونيسيا، ثم عاد إلىٰ الحرمين سنة ١٣٥٦هـ، وبعد أداء الحج سافر إلىٰ الهند ثم إلىٰ سنغافورة وماليزيا وأندونيسيا، وعاد إلىٰ الحرمين سنة ١٣٥٧هـ.

وبعد أداء مناسك الحج سافر إلىٰ شرق أفريقيا، فدخل كينيا وتنزانيا وزنجبار. وأخذ عمّن بهذه الأقاليم التي دخلها من أهل الصلاح والعلم، وانتفع به في هذه الأقاليم خلقٌ كثير أخذوا عنه واستمدوا منه، وخصوصاً في زنجبار، فقد وقع له استقبال حافل، استُقبل في الرصيف رسمياً، وكان في ذلك الوقت بزنجبار عدد كبير من العلماء الأجلاء، منهم: الإمام العلامة الحبيب عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط، وكان هو القاضي الشرعيّ بزنجبار، والعلاّمة الشيخ أبو بكرٍ بن عبد الله باكثير، والعلاّمة محسن بن علي البرواني، والعلاّمة الشيخ محمد المخزومي، والعلاّمة الشيخ محمد الخطيب، والأديب العلاّمة الشيخ برهان مكلا القمري، والعلامة السيد عبد الله بن محمد الشاطري، والعلاّمة الأديب السيد أبو الحسن بن أحمد ابن جمل الليل، والعلامة الشيخ سليمان محمد العلوي، والعلامة السيد حامد منصب بن الشيخ أبي بكر، وغيرهم. وأُقيمت له حفلات التكريم والترحيب.

وألقىٰ كثير من علماء وأدباء وشعراء زنجبار قصائد طنّانة في ترحيبه، منهم: الشاعر الشيخ سالم عبد الله ودعان، والأديب الشيخ عبد الله بن أحمد بافضل الذي كان مطلعُ قصيدته قوله:

كؤوسُ راحِ الهَنا في حانِ نادِينا تُـدارُ ما بينَـنا والبِـشْـرُ ساقِـينـا

وحضر كثيراً من دروس علماء زنجبار، وزار مآثر زنجبار ومدارسها وزوايا أهل الطرق الصوفية بها، وتلقىٰ عنه كثير من طلبة العلم الموجودين بها، وأجازهم وألبسهم.

وقد دوّن كلَّ ما وقع للمترجَم له بزنجبار مدة إقامته بها، ومَن أخذ عنه وأجازه واستجازه، وإجازاتِه لهم، وما حضره من الدروس والمجالس الخيرية، الحبيبُ عمرُ بن أحمد بن سميط في مجموع سماه «شذىٰ الأزهار» لا يزال مخطوطاً.

ـ إقامتـه في بلـده، ووفاتـه:

ثم عاد المترجَم له إلىٰ وطنه حضرموت، وأقام ببلده (مشطه) ملازماً بيتَه بعيداً عن الفضول، تاركاً لما لا يعنيه، مكبّاً علىٰ المطالعة والقراءة والكتابة والتقييد، حريصاً علىٰ حفظ الفوائد وتقييد الشوارد، وكان حسن الخط كثير النِّساخة، فكم نسخ من مصاحف وكتب، ومن كراماته الكثيرة وأسـراره الغزيـرة أنه نسـخ ـ بقلم واحـد من قَصَـب، من غيـر أن يجدّد بُرايته ـ خمسة مصاحف كاملة، وهذا من بركاته رضي الله عنه.

وقصده الناس من كل الوادي والوافدون إليه إلىٰ حضرته، لزيارته واستمداد بركاته والتماس دعواته والأخذ والتلقي عنه، وكان يقابل كل من يأتيه بالترحاب والبشر والإيناس، ويمد كل مَن أتاه بقصده من دعاء أو إجازة أو إلباس أو إلقام أو مصافحةٍ أو تشبيكٍ أو رواية واتصال سند من الأسانيد المسلسلة، فيعود كل من عنده ظافراً بقصده.

وقد أطال الله عمره، حتىٰ ألحق الأحفاد بالأجداد، فقد توفاه الله وهو يناهز التسعين من عمره، فقد انتفع به خلق كثير وعدد لا يحصون لكثرتهم.

ـ أعمالـه العلميـة:

وقد جمع فتاوىٰ العلامة الشيخ أبي بكرٍ بن أحمد البكري الخطيب، وقد طبعت بحمد الله وانتشرت.

وجمع أيضاً وصايا ومكاتبات شيخه العلامة الحبيب عبيد الله بن محسن بن علوي السقاف.

وكان حريصاً علىٰ أخذ السند والمسلسلات، حتىٰ أنه ــ من حرصه ــ طلع يوم العيد من بلده (مشطه) ماشياً علىٰ قدمه إلىٰ تريم لأخذ الحديث المسلسل بيوم العيد من العلامة المحدث المسند السيد محمد بن سالم السَّرِي.

وقد جمع ثبتاً في ذكر مشايخه ومَن أخذ عنهم ودرس عليهم، وما قرأه عليهم من الكتب ومن أجازه وألبسه، سمَّاه «منحة الإله في الاتصال ببعض أولياه»، ذكر فيه مشايخه واحداً واحداً، وقد بلغ عددهم مئة وتسعة وأربعين شيخاً، ولا زال مخطوطاً، فانظره فإنه مفيد.

ـ ثناء شيوخه عليه:

وقد أثنىٰ عليه كثير من أعيان وقته ومن مشايخه وغيرهم، ووصفوه بالأوصاف الجليلة، وأشاروا إليه بأنه من أهل الأحوال الكبيرة ومن الرجال الذين بهم يدفع الله البلايا ويكشف الرزايا ويسدي كل خير ونعمة.

بل نوّه بعض الصالحين به قبل وجوده، وهو الحبيب الصالح المنور حسين بن عمر بن سهل مولىٰ خَيْله، يُحكىٰ عن السيد حسين المذكور أنه كان مكفوف البصر، وكانت له بنت تسمىٰ «سِيدة» ــ بكسر السين ــ وكان

يحبها، وكانت تأخذ بيده إذا أراد حضور مَدرس أو غيره وتوصله إلىٰ المحل وتبقىٰ خارج المحل تنتظره حتىٰ يخرج، فلامَه بعض الناس علىٰ ذلك؛ لأنها بنت ولا يصلح الناس يروها دائماً، فقال لهم السيد حسين المذكور: سيكون لهذي البنت شأن! إنها ستلد بنتاً يتزوجها وليّ لله، والبنت ستلد بنتاً ويتزوجها أيضاً ولي لله.

فكـان كمـا قال، فإن تلك البنتَ بنت السيد حسين تزوجت ــ فيما أعتقد ــ بأحد السادة من آل الحداد، وولدت له بنتاً تزوجها الحبيب العارف بالله علي بن عبد الرحمن المشهور، فولدت له بنتاً تزوجها صاحب الترجمة الحبيب سالم المذكور، وهـي أم ولديه محمد وأحمد، وهكذا تحقق كلام الحبيب حسين بن سهل.

ــ وفـاتـه:

ولم يزل صاحب الترجمة في علومه وعباداته وأذكاره وأوراده حتىٰ وافاه الأجل، فانتقل إلىٰ رحمة الله عزّ وجلّ في آخر شهر رجب الأصب سنة ١٣٧٨هـ عن تسعين عاماً وهو بكامل الصحة متمتعاً بكل حواسه، وقد دفن ببلده (مشطه) اختطّ له مقبرة بها سماها الروضة، ويدفِن أهل (مشطه) أمواتهم عنده، وقد شيعت جنازته في جمع حاشد من كل وادي حضرموت.

وأبّنه كثير من تلاميذه ومريديه ومعاصريه من شعراء حضرموت وغيرها، منهم: العلامة الأديب السيد صالح بن علي الحامد، ومنهم: عالم مكة السيد علوي بن عباس المالكي، رحم الله الجميع وجمعنا بهم في فراديس الجنان إنه كريم منان، آمين.

عبد الله بن عمر الشاطري في معرض الثناء علىٰ رباط تريم، قال له: (لو لم يتخرج مِن الرباط إلا حسنُ بن إسماعيل لكفىٰ). وكان الحبيب عبد الله الشاطري يعتزّ بالمترجم له ويثني عليه، وإذا قدم إلىٰ تريم يقدمه في الصلاة ويأمره يقوم بالوعظ نيابةً عنه.

ولمّا تخرج من الرباط وانتهىٰ من الدراسة وعاد إلىٰ عينات وبرز علىٰ المسرح العلمي معلماً ومرشداً، كتب الحبيب عبد الله الشاطري رسالة إلىٰ الحبيب علي بن محمد الحبشي إلىٰ (سيون) قال فيها: «ونُفرِّحكم سيدي أن الأخ حسن بن إسماعيل الذي كان بالرباط قَدْ لُه مُدّة من سار إلىٰ عينات، وتزوج، ومنه خط ــ أي: رسالة ــ هذه الأيام، وشرح لنا فيه وذكر لنا أنه أحيا الدروس المدروسة كلها، وقام بها المقام التام، ويحضرون عنده جملة من الطلبة، ويقرأون في الفقه والنحو والفرائض، وحكمه يُشكَر جَمْ، ادعو له بالفتوح والبركة، حيث هو له تعلق بكم كثير». اهـ. وهذا يدل علىٰ اعتناء شيخه الشاطري به.

ولم يقدَّر للمترجَم له السفر إلىٰ خارج حضرموت، بل عاش في داخلها، ولم يتجاوز ساحلها. وهكذا، قضىٰ حياته كلها إفادة واستفادة، وإرشاداً وتذكيراً وذكراً حتىٰ وافاه الأجل المحتوم، فتوفي بعِيْنَات فجأةً ليلة السبت بعد المغرب ٨ شوال سنة **١٣٦٧هـ**، وقد وجدوه علىٰ هيئة الساجد، فظنوه ساجداً وإذا هو قد خرجَت روحه الزكية، رحمه الله تعالىٰ، ودفن بعِيْنات.

❑ ❑ ❑

نَـصُّ الإجـازة(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله الذي جعل الاتصال بكمَّل الرجال من أقوىٰ الأسباب الموصلة إليه، والبعدَ عنهم من علامة أهل الشقاء والحرمانِ مما لديه، والصـلاة والسـلام الأتمـان الأكمـلان الأشمـلان علـىٰ أحـب الأحبـاب، المخصوص بالعروج إلىٰ حضرة الاقتراب، سيدنا ومولانا الحبيب الأعظم، والشفيع الأكرم، محمد صلىٰ الله عليه وسلم، وعلىٰ آله وسائر الأصحاب، والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الحشر والمآب.

أما بعد،

فلمّا كان التشبه بأهل الله تعالىٰ وخاصته، في السيْر علىٰ منوالهم، والاقتداء بأفعالهم، والاقتفاء علىٰ آثارهم، أمراً مجمعاً علىٰ نَدْبه، وطريقاً سويّاً موصلاً إلىٰ رضا الله تعالىٰ وقُربه، وكانت الإجازاتُ والأدعيةُ والوصايا المعروفة، المتداولة بين أهل العلم شهيرةً ومألوفة، ولخيرات الدنيا والآخرة جامعةً وموصوفة، وهي أقرب سُلم إلىٰ الوصول، وأسهل شيء ينال به

---

(١) مما ينبغي ذكره هنا: أن المجيز والمجاز تدَبّجا، فأجاز كل منهما للآخر، وقد ترجم الحبيب سالم (المجيز) للسيد الحسن الحامد (المجاز) في ثبته «منحة الإله».

السول والمأمول، وتلقتها الأئمة والعلماء الفحول، بغاية التعظيم والتكريم والقبول، ونوَّهوا ـ رضي الله عنهم ـ بفضلها في النقول.

رَغِبَ في سلوك طريقها، وشرب رحيقها، الأخ الفاضل، والسيد المتواضع الخامل، الحبيب النسيب، الأديب الأريب، الحائز إن شاء الله تعالىٰ أوفر وأكمل نصيب، المُعَان في كل شان، المصَان من كل شنَآن، المحفوظُ بعناية الكريم المنان، الندب الفضيل، والأصل الأصيل، والصِّنو الجليل، الداعي إلىٰ المولىٰ سراً وعلانية وفي المحافل العظيمة، والمواطن الجسيمة، والمرشد إلىٰ سواء السبيل، العلاّمة الغني عن العلاَمة، الحسن ابن المرحوم إسماعيل، المنتمي إلىٰ أجداده الأماجد، كالشيخ الحامد ابن سيدي الفخر أبي الغنائم والمكارم الشيخ أبي بكر بن سالم، لا زال ممتعاً في طاعة الله، ومرشداً لعباد الله، ومن والانا ووالاه، في خير ولطف وعافية.

آمينَ آمينَ، لا أرضىٰ بواحدةٍ   حتىٰ أضيفَ إليها ألفَ آمينا

* * *

طلب مني هذا الأخ الصادق في محبته، الكامل في مودته، الدعاءَ والوصية والإجازة، حسنَ ظن منه أني من أهل تلك المفازة، ولسانُ حالي يقول هذا المقول:

ولستُ بأهلٍ أن أُجازَ فكيفَ أن   أُجيزَ، ولكنّ الحقائقَ لا تخفىٰ

ولو علم أخي ـ حفظه الله تعالىٰ ـ ما أنا فيه من التقصير، وعدم التشمير، ولا أنا ممن في العير ولا في النفير، ولا أعد نفسي من طلبة

العلم والتعبير، لَمَا طلب مني لا قليلاً ولا كثير، ولا رفع لي بكتاب، ولا وجّه إلي بخطاب.

وقد اعتذرت إليه فلم يقبل، وألحّ عليّ مراراً ولم أفعل، حتىٰ كتب مكتوباً بتحرير: الاثنين أواخر شهر صفر الخير سنة ١٣٦٤ هـ، يحرّضني فيه أن أكتب ما يقدّره المولىٰ جل وعلا ممّا تلقيته عن مشايخي وما سمعته منهم، وما قرأته عليهم وما رويته عنهم. ولمّا ظهر لي من ذلك الطلب ما ظهر، من تعطشه وتلهفه لذلك، مع الشوق الكثير والرغبة لما هنالك، أجبته مسارعةً لطِلبته، ومساعدةً في إبلاغ أُمنيَّته، ورجاء صالح دعوته، تنفعني في آخرتي وآخرته، ولِمَا بيني وبينه أيضاً من الأخوة الصادقة، والصداقة السابقة، والمحبة الكاملة، والصلة والمواصلة، ولِحُسنِ الظنِّ التامّ، مع أنه كفؤٌ لما طلب، وأهلٌ لما إليه دأب، فهنيئاً له ذلك المشربُ الأطيب الأعذب، أوقاته كلها معمورة، ومدارسه بالنور مغمورة، وأخلاقه مشهورة، وأوصافه الجميلة غير منكورة، فهنيئاً له هنيئاً، ولله دره من أخ في الله وفينا.

* * *

فأقول ــ وعلىٰ الله الإجابة ومنه القبول ــ وأستغفر الله من هذا المقول:

أستغفرُ الله مِن قولٍ بلا عملٍ ... لقد نَسَبْتُ به نسلاً لذي عُقُمِ

أمّا الدعاءُ: فدعاء الفقير الخاصُّ منه والعام في لياليه والأيام، لخصوص المؤمنين والمؤمنات، لا سيما في هذه الأوقات، برفْعِ ما نزل في هذه

الجهات، من الأمراض والأسقام، والضنك والشدة، والغلاء، والبلاء، والفناء، والفتن، مما ظهر وبطن، وغيرها مما عم جميع الأرض، طولَها والعَرْض، شرقاً وغرباً، براً وبحراً، فعسىٰ المولىٰ بمحض جوده وكرمه يرحم الأمة، ويكشف الغمة، ويرفع الأزمة، بجاه نبيها نبي الرحمة ﷺ، آمين، اللهم آمين.

آمين، آمين إلهي فاستجِبْ   فاسمَعْ وقُلْ لي هاك عبدي ما تحبّ
بحرمةِ الذاتِ وسرِّ الذِّكرِ   وجاهِ طه مصطفاكَ الطُّهْرِ(١)

* * *

وأمّا الإجازة فقد أجزتُ أخي الحسنَ المذكور، وصفييَ المشهور، نيابةً عن أشياخي الأعلام، نجوم الهدىٰ والظلام، في جميع ما تَضَمَّنَه ثبتي المسمَّىٰ «منحة الإله في الاتصال ببعض أولياه» ــ إن صحت لي الإجازة منهم ــ إجازةً تامة خاصة وعامة في كل ما صحتْ لي روايته، وحصلتْ لي درايته، من كل علم معقول ومنقول، في الفروع والأصول، منطوقٍ ومفهوم، في جميع العلوم، من قرآنٍ وبيان وتفسير وحديث وفقهٍ وتصوّف وآلات، وفي كل عمل وأخْذ وتلَقٍّ وترَقٍّ وتعلُّم وتعليم، وغير ذلك مما يحبه الله تعالىٰ ويقرب إليه سبحانه وتعالىٰ من دعوة إليه وإلىٰ رسوله، كما هي طريقة الحبيب الأعظم صلّىٰ الله عليه وسلم وسبيله.

---

(١) من أبيات «المنظومة الألفية» للشيخ الإمام أحمد بن عمر باذيب رحمه الله تعالىٰ.

وأجزته في أوراده وأذكاره وأحزابه، ودعواته القرآنية، والنبوية، والسلفية، واستغاثاته، واستغفاراته، وصلواته علىٰ النبي ﷺ، بأي صيغة كانت، وتلاوة القرآن العظيم، لا سيما ـ من الأوراد ـ أوراد سيدنا الشيخ أبي بكرِ بن سالم: المطوّلة والمختصرة، ونجله سيدنا الحسين، وورد سيدنا الإمام عبد الله بن علوي الحداد اللطيف، والإمام النووي، صباحاً ومساءً، وإلا فأحدهما صباحاً والآخر مساءً، وغير ذلك من الأوراد التي للسلف رضي الله عنهم، مع المداومة والمحافظة حسب الطاقة والإمكان، فالقليل الدائم خير من الكثير المنقطع، كما أجازني في جميع ذلك مشايخي الأئمة الأعيان، ذوو العرفان، الأجلاء العظام، وقد انتقلوا إلىٰ رحمة ذي الجلال والإكرام، وأسكنهم فسيح جناته، وألحقنا بهم علماً باللسان وعملاً بالأركان واعتقاداً بالجَنان، آمين اللهمّ آمين، يا كريم يا حنان يا منان.

[جملةٌ من شيوخ المُجيز]

وأخصّ بالذكر منهم القليلَ خوفَ التطويل، فمنهم: مقدم الذكر وشيخ جل مشايخي، العارف بالله والدال عليه، الحائز للشرفيْن، الجامع بين العِلميْن، مؤلف «عقْد اليواقيت الجوهرية» تاج الرؤوس، سيدي الوالد البركة عَيْدَروسُ بن عمر الحبشي، والإمام العارف بالله تعالىٰ، بحر اللطائف، وشيخ المعارف، نور الدين وبركة المسلمين، داعي الأنام إلىٰ الإيمان والإسلام، سيدي الوالد البركة علي بن محمد الحبشي، والحبيب الإمام العلامة الفقيه الفهامة، ذو التحقيق والتدقيق، مؤلف «بغية المسترشدين»،

وجيه الدين، سيدي الوالد البركة عبد الرحمن بن محمد بن حسين، ونجله الوالي الصالح، السالك الناسك، القانت الصوفي الفقيه، سيدي الوالد البركة علي بن عبد الرحمن بن محمد بن حسين آل المشهور، والحبيب الإمام البصير، ذو الكشف الجليّ والبحر الملي، الحائز كلا الشرفيْن والقائم بإصلاح ذات البيْن، سيدي الوالد البركة أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس، والحبيب الإمام الأواه المستهتر بالدوام علىٰ ذكر الله، الولي الأوحد، سيدي الوالد البركة أحمد بن محمد بن عبد الله الكاف، والحبيب الإمام الفقيه الورع الزاهد، العفيف الوالد، البركة ذو العفاف، سيدي علوي بن عبد الرحمن بن علوي السقاف، والحبيب التقي النقي الصالح، السالك الناسك العابد، سيدي الوالد هادي بن حسن بن عبد الرحمن السقاف، والحبيب العارف بالله تعالىٰ، العفيف النظيف، الزاهد القانع المتواضع، ذو الأخلاق الرضية، والشمائل المرضية، ملامَتِيُّ الحال، سيدي الوالد البركة عبيد الله بن محسن بن علوي السقاف، والحبيب الفاضل والرجل الكامل الصالح الناسك المتواضع الزاهد، عفيف الدين الوالد عبد الله بن محمد بن عقيل مطهر مدهر، والحبيب الأبيّ، ذو الخلق الرضي، والعمل المرضيّ، الوالد محمد بن سالم بن علوي السري، والحبيب الشاكر الذاكر، ذو الكشوفات الجلية والأحوال المرضية، والخلق الحسن والعمل المستحسن، عفيف الدين الوالد البركة عبد الله بن عيدروس العيدروس، والشيخ اللطيف الفقيه الصوفي النحوي، الشاعر الأديب النحرير، محمد بن محمد بن عبد الغفار باكثير، والشيخ المحبوب المعان

المصان المعَزِّم، ذو الملكة علىٰ الجانّ، الأسعد الأرشد، سعد بن أحمد ابن عبد الله الصبان.

وغير هؤلاء من بقية سلفنا، وأئمة خلفنا، ممن يطول شرْحُهم، ويتعسر هنا حصرهم. وقد أثبتّ أسماءهم في «ثبتي» المشار إليه آنفاً، فهم علماءُ عاملون، وتلقوا عن علماءَ عاملين وهكذا إلىٰ سيد المرسلين، رحمهم الله تعالىٰ، وأسكنهم أعلىٰ فراديس الجنان، ونفعنا بهم، آمين. فالحمد لله تعالىٰ علىٰ ما مَنّ به من التعرف بهم والتعريف، ونسأله أن يلطف بنا في أمورنا كلها، إنه البر اللطيف.

وأذنت لأخي أن يجيزَ ويوصي مَن شاء كيف شاء، وأجزتُ أيضاً أولادَ المجاز المباركين الميامين، المحفوظين بعناية رب العالمين، وهم: علي، وعلوي، وعبد القادر، ومن سيوجد من بعد. وأجزت أيضاً محبَّهم ومحبنا وصديقهم وصديقنا الأجلّ الأبرّ محمد بن عمر بن سالم بن حمود بايعقوب، ونجْلَه عليّاً وإخوانه، وأولادهم، وأولاد أولادهم ما تناسلوا، ومَن أرادها من الإخوان والمحبين، بما أجزتُ به الأخ الحسن من الأوراد والأحزاب والأذكار والدعوات وغيرها كما تقدم إجازةً تامة خاصة وعامة كما أجازني مشايخي رضوان الله عليهم.

* * *

وأما الوصية، فأُوصي نفسي وأخي ومَن ذكروا من بعده وكافة المؤمنين، بتقوىٰ الله رب العالمين، التي هي الركن الأعظم، والمقام الباذخ الأفخم، ومِن عظَم شأنها وكبر شأوها وصّىٰ الله بها الأوّلين والآخرين، فقد قال في

الكتاب المبين: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] وفي الآية الأخرىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وفي الأحاديث المروية عن البشير النذير، من ذلك الشيء الكثير، فمنها: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: أوصني، قال: «عليك بتقوىٰ الله تعالىٰ»(١).

ومنها: ما قاله لأبي ذر لما استوصاه رضي الله عنه وأرضاه: «أوصيك بتقوىٰ الله تعالىٰ، فإنه ذكْرٌ لك في السماء، ونورٌ لك في الأرض، عليكَ بطولِ الصمتِ، فإنه مَطرَدةٌ للشيطان، وعونٌ لك علىٰ أمر دينك، وإياكَ وكثرةَ الضحك، فإنه يُميتُ القلب، ويَذهبُ بنُور الوجْه، عليكَ بالجهاد، فإنه رَهبانيةُ أُمتي، أحِب المساكينَ وجالِسْهم، وانظُر إلىٰ مَن تحتَك ولا تنظُر إلىٰ مَن فوقَكَ، فإنه أجدرُ أن لا تَزْدري نعمةَ الله عليك، وصِلْ قرابَتَكَ وإن قطَعوكَ، قل الحقَّ وإن كان مُرّاً، لا تخف في الله لوْمةَ لائم، لِيحجِزْكَ منَ الناس ما تعلَمُ مِن نفْسِك، ولا تَجِدْ عليهم فيما تأتي، وكفىٰ بالمرءِ عيْباً أن يكونَ فيه ثلاثُ خصال: أن يعرفَ منَ الناسِ ما يجهَلُه من نفْسِه، ويستحييَ لهم مما هُو فيه، ويؤذي جَلِيسَه. يا أبا ذر، لا عقْلَ كالتدبير، ولاورَعَ كالكَفِّ، ولا حسَبَ كحُسنِ الخُلُق»(٢). اهـ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٤٥).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢: ١٦٨)، وروىٰ بعضه ابن ماجه (٢٧٧١).

والآيات والأحاديث في التقوىٰ وفضلها والحثّ علىٰ الأخذ بها لا تعد ولا تُحصىٰ، ولا تُحصَر ولا تُسْتقصىٰ، وآثارُ الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم في شرح معناها متكاثرة.

* * *

فانظروا يا هؤلاء إلىٰ كلام المتأخرين من العلويين، كـ«عقد اليواقيت الجوهرية» للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، و«مجموع رسائل» الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، وما حوته «وصايا الحبيب عُبَيد الله بن محسن ابن علوي السقاف» التي جمعناها بحمد الله في ثلاثة مجلدات، فقد أتىٰ كل منها ببعض شرحها، ففيها الغُنْية والكفاية، لمن أرادَ الله له السعادة والهداية.

وتحصل التقوىٰ بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه وزواجره، وهي بحمد الله تعالىٰ مبيَّنة ومشهورة، وفي الكتب مسطورة، والطريقة المبلِّغة إلىٰ ذلك: كمال الاتّباع للمتبوع الأعظم صلّىٰ الله عليه وسلم، فيما أتىٰ به ودعا إليه وسَنَّهُ لأمته، من فضائل الأعمال ومكارم الأخلاق، وصدق اللَّجَإ، والتوجه بكُنْه الهمة إليه، والتوكل في الأمور كلها عليه، وملازمة الأذكار، لا سيما كلمةُ الإخلاص، وهي قولُ: (لا إله إلا الله)، والإكثارُ منها، وبزيادة: (محمّدٌ رسولُ الله صلىٰ الله عليه وسلم)، فقد أجازني بالخصوص في هذا الذكر سيدي الوالد البركة عبد الرحمن بن محمد المشهور، تلقاها عن النبي ﷺ يقَظةً لا مناماً وأخبرني بذلك شِفاهاً، وكتبه بقلمه في إجازته للشيخِ العلاّمة الفقيه عبد الله بن محمد باكثيرٍ نزيل زنجبار.

وأوصيكم بالإكثار من الصلاة علىٰ الحبيب المختار صلّىٰ الله عليه وسلم، وقد ورد في بعض الآثار: أن أقل الإكثار منها في اليوم والليلة ثلاثة آلاف مرة.

* * *

وأوصيكم بالتراحم والتناصر والتعاون في الأمور الخيرية، وباحتمال الأذىٰ ممن كان، وبصلة الرحم الخاص منهم والعام، ولا أقل من الدخول عليهم ولو بالسلام، والاعتراف بالتقصير، والتواضع للصغير والكبير، وشهود النقص والخلل في العمل، والتوبة والرجوع إلىٰ الله عزّ وجل، في إكمال الناقص وفي غَفْر الزلل.

* * *

وأوصيكم بصلاح النية في كل قول وفعل، ومناقشة النفس في ذلك، ولا تقنَعوا منها بالدعوىٰ حتىٰ تمتحنوها وتختبروها، كلِّفوها العمل بما علمتم.

وعليكم بتصحيح تقواكم فيما بينكم وبين مولاكم، بلزوم الإخلاص في سائر الأقوال والأفعال.

* * *

وعليكم بالمواظبة علىٰ مطالعة كتب القوم وإمعان النظر فيها، مثل كتب الإمام الغزالي، والحبيب عبد الله بن علوي الحداد، وغيرها من كتب السلف، فإن فيها الهداية إلىٰ معرفة الله تعالىٰ، والإرشاد إلىٰ صلاح النيات،

وإخلاص الأعمال من شوائب الرياء، وتهذيب النفوس، إلىٰ غير ذلك، فلا يمسك عن مطالعتها والنظر فيها إلا مَن عميَتْ بصيرته، وأظلمت سريرته.

* * *

وعليكم بحفظ الأصغرَيْن: اللسان والجَنان، فلا يتكلم المؤمن إلا فيما يعنيه، ولا يدخل بيت قلبه ما حذّره منه باريه.

* * *

وأوصيكم بإحياء ما بين العشاءَين، ففضلُه عظيم، وأجره جسيم، وتلاوة القرآن سراً وإعلان، ففيه كل العلوم، منطوقها والمفهوم، فتدبروه أي تدبير، وقدّموه علىٰ كل شيء من صغيرٍ وكبير، ولا تجعلوه غريباً، تنالوا من أسراره وأنواره نصيباً، وبحضور القلب وسكون الجوارح تحصل ثمرات التلاوة، ويُفيض الله عليكم ما أفاض به علىٰ أوليائه وأصفيائه مما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، وراقبوا مَولاكم في كل حال، واستشعروه بقلوبكم علىٰ الدوام، فإنه عليكم رقيب، ومنكم قريب.

* * *

وكونوا لأنفسكم واعظينَ ومذكِّرين، وعرِّفوها ما لها في الطاعات من الثواب والأجرِ الجزيل، وما عليها في تركها وفي ارتكاب المعاصي من العقاب والخِزي الوَبيل، فإن النفس ــ لجهلها ــ لا تكاد تفعل شيئاً، ولا تتركه إلاّ لشيء ترجوه أو شيء تخافه، إذ هي مجبولة علىٰ الكسل والملل علىٰ الطاعات، والميلِ والركون إلىٰ المخالفات.

وأوصيكم أيها الإخوان بتفقد القلب وإصلاحه؛ لأنه محل النظر والمعرفة بالله التي هي أساس العلوم ورأس الفهوم وأشرف الأشياء، ومصدر الأعمال وسائر القرُبات، فلا يكون طيّباً نظيفاً إلا به.

وقد قالوا: (يستدل علىٰ عمارة القلب واستنارته بأشياء، منها: خشية الله تعالىٰ في السر والعلانية، وعدم المبالاة كيف يكون عند الخلق إذا كان عند الله مرضيّاً، وعدم المبالاة أيضاً، بما ذهب من الدنيا إذا كان دينُه سالماً. وأضدادُ هذه تدل علىٰ خراب القلب.

وهو هدفٌ منصوبٌ، لا تزال ترمىٰ إليه سهام الخواطر، ولهذا كثر تقلبه: رباني، وملَكي، ونفسي، وشيطاني. وكثيراً ما يلتبِسُ بعضها ببعض، ومن الفرق: أن الربانيَّ والمَلَكي يَقْوَيانِ بذكْر الله عز وجل، وبالذكر يضعف الخاطر الشيطاني، وبذكر الموت يضعف الخاطر النفسي). اهـ. بالمعنىٰ.

* * *

وأوصيكم أيها الأخلاء إذا بلغكم أمرٌ أو فجأكم حادثٌ من حوادث الزمان، فعليكم بالتأني والتثبت عند صدمته، والتحلم بالحلم عند فجأته، فقد ورد: **«مَن تأنىٰ أصاب أو كاد، ومن عَجِل أخطأ أو كاد»**[1]، وكذا في الخبر أو الأثر.

---

(١) حديث شريف، أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧: ٣١٠)، وفي «الأوسط»، وفيه راوٍ ضعيف. =

وإذا دخلتم في شيء من الأسباب بيعاً أو شراءً أو غير ذلك فعليكم بالصحيح المبرور منه، فحِيَلُ أهل هذا الزمان كثيرة، وقد قادهم الشيطان إليها بحبل غروره، وبحمد الله تعالىٰ «**الحلالُ بيِّنٌ والحرامُ بيِّنٌ وبينهما أمورٌ مُشتبِهات لا يعلمُهُنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتّقىٰ الشبُهاتِ فقد استبرأَ لدينِهِ وعرضِه**»[١]، إلىٰ آخر الحديث أو ما هذا معناه.

وفي الأثر أو الخبر: «**مَن أكل الحلالَ أربعيـنَ يومـاً تفجَّرت ينابيعُ الحِكمةِ من قلبِه**»[٢]، وفي الخبر أيضاً: «**مَن أكل الحلالَ أطاعتْ جوارحُه، شاء أم أبىٰ، علِم أو لم يعلم، ومَن أكل الحرامَ، عصَتْ جوارحُه، شاء أم أبىٰ، علِم أو لم يعلم**»[٣].

❊ ❊ ❊

وإياكم ومجالسة أهل اللهو واللعب والطغيان، الذين هم منتبهون في أمور دنياهم، غافلونَ عن التفقه في عاقبتهم وآخرتهم، تجد الواحد منهم بصيراً بأمر دنياه، جاهلاً بأمر دينه وعقباه، وتجد الشخص المنظور إليه يتكلف معهم ويراعيهم ويراقبهم في بعض الأحيان وهم عنه معرضون، فالسلامةُ في ترك مخالطتهم وعدم الخوض معهم رأساً، فالأوْلىٰ للمؤمن

---

(١) متفق عليه، من حديث النعمان بن بشير: البخـاري في كتاب البيوع (٢٠٥١)، ومسلم في كتاب المساقاة (٢٤٥١).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٥:١٨٩)، وابن عدي في «الكامل» (٥:٣٠٧) بألفاظ متقاربة.

(٣) لم أجده.

الحريص على عزيز وقته أن لا يبذل قوله، ولا ينقل قدمه، ولا يسمح بوقته الذي هو رأس ماله، إلا إن ظهرت له المصلحة التامة من لوائح الانتفاع والقبول لكلامه.

وأوصيكم بالإعراض الكلي عمن قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨]. ولا تَخاصموا ولا تَنازعوا ولا تحقدوا علىٰ أحد، لا في حق ولا في باطل، ولا تُدِلُّوا علىٰ الله بطاعته، فإنكم وطاعتُكم خَلْقُه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦].

* * *

واعلموا أن رحمة الله تعالىٰ أرجىٰ لكم من أعمالكم، وأن مغفرته لكم أوسعُ عنده من زللكم وعصيانكم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، وعليكم بحسن الظن بأهل لا إله إلا الله، فإن من قالها فقد دخل في الحصن الحصين، وأحبُّوا لهم ما أحببتم لأنفسكم، فإنهم عباد الله، والعبدُ يُكرَم لأجل سيده، فـ«**الراحمون يرحمُهم الرحمٰن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم مَن في السماء**»[١]، «**مَن لا يرحم لا يُرحم**»[٢]، ومهما قدرتم يا هؤلاء علىٰ أي نفع لعباده: ديني أو دنيوي، فابذلوا فيه جهدكم وطاقتكم، مع الحفظ التام في كل إحجام وإقدام.

---

(١) حديث الرحمة الشهير، رواه الترمذي (١٩٢٤) وغيره.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٥).

وأوصيكم بمخالفة الهوىٰ، فإنّ بذلك رضىٰ المولىٰ جَلّ وعلا، وبحفظ السرِّ، واجعلوا قبْرَه صدورَكُم.

واحذروا من مدّ العين إلىٰ زهرة الدنيا، فإنها أفْياء، فاحذروا منها ومن أهلها، فمن أخذ الدنيا بشَرَهِ نفْس مع حرص علىٰ الفَلْس لم يُبارَكْ له فيها، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، ويشرب ولا يَروىٰ، ويُذكِّر ولا يرجع. واقنعوا بما قسم الله لكم من الرزق، واْشهَدوا حكمة الله في العطاء والمنع، فأهل الله إذا أقبلَتْ عليهمُ الدنيا قالوا: ذنبٌ عُجِّلت عقوبته، وإذا أقبل عليهم الفقر قالوا: مرحباً بشعار الصالحين.

❊ ❊ ❊

وعليكم أيها الإخوان بقيام الليل ولو بعضاً منه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، فإنها ما عُقِدت ولاية لولِي إلا بالليل، وفي حديث الإسراء، وحديث: «**ينزلُ ربُّنا في كلِّ ليلة إلىٰ السماءِ الدنيا**»[١] إلىٰ آخرهما، كفايةٌ في هذا المعنىٰ.

واعلموا أن شرف المؤمن قيامُه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس.

❊ ❊ ❊

وأوصيكم أيها الإخوان إذا قصدتم وحضرتم زيارة الأولياء والعلماء العارفين بالله تعالىٰ، المشار إليهم بالخير والصلاح، من الأحياء

---

(١) متفق عليه؛ البخاري (١١٤٥)، ومسلم (١٧٦٩).

والأموات، أن تجمعوا بكلّيّتكم، وتتوجهوا بصدق الإقبال، وتتلقَّوْا ما يبدو من القول والفعل بالأدب وحسن الظن، والإصغاء والإنصات لما يبرُز منهم من العلم والحكمة، والسكوت بترك الكلامِ والمسابقَةِ لكلامهم، واستحضروا شهود حضرته صلىٰ الله عليه وآله وسلم، الجامعة الواسطة المبسوطة في كل آن وفي كل مكان وزمان، التي هي الأصل والأساس في فيض الأنوار وإدرار الأرزاق والخيرات والبركات والأسرار، الحسية والمعنوية، في جميع المشاهد والمعابد، والاستمداد والتوسل به قبل كل وسيلة في نيل كل فضيلة، ومحو كل رذيلة، فهو صلىٰ الله عليه وسلم الأصل في نيل كل خير ودفع كل شر وبؤسٍ وضير، المتلقي والمستمد من إلهِهِ، من الحضرة الربانية ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وأكثروا الصلاة عليه، خصوصاً يوم الجمعة، فقد قال في الحديث المروي عنه صلىٰ الله عليه وسلم: «**أكثروا مِن الصلاة عليّ في الليلة الغراء واليوم الأزهر**»(١).

* * *

وعليكم بالتمسك بشيخ مرشد يدلكم علىٰ الله تعالىٰ، قال سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله به:

ولا بدَّ من شيخٍ تسيرُ بسَيْـرِهِ ... إلىٰ الله من أهل النفوسِ الزكيةِ

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢٧٧٢) من حديث ابن عباس، بسند ضعيف، ولفظه: «**أكثروا من الصلاة علىٰ نبيكم. . .**»، إلخ الحديث.

□ ومما كتبه سيدي الوالد البركة عبد الله بن محمد بن عَقيل مُطهَّر[١] في إجازته للفقير في هذا المقام ما مثاله: «والشيخ في الطريقة: مَن هذّبك بكتاب الله تعالىٰ باطناً، وبالسنة المحمدية، وعرّفك بالنفس اللوامة، وأوصلك إلىٰ النفس المطمئنة، وخلّصك من البرية، وألزمك تعظيم الأحَدَية.

والشيخ في الحقيقة: مَن أوصلك إلىٰ الله تعالىٰ وحققك بالنفس الزكية، ونفىٰ من أعمالك ما هو أعمىٰ لك، ومن أفعالك ما هو أفعىٰ لك، ومن أحوالك ما هو أحْوىٰ لك، وأثبت من أقوالك ما هو أقوىٰ لك.

فإذاً المشايخ ثلاثة: شيخُ تعليم، وشيخ تهذيب، وشيخ فتح وتقريب، وقد يجمع الله بفضله لبعض المشايخ هذه المراتب الثلاث، فيعلّم ويهذّب ويفْتح، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

□ ثم قال في موضع آخر: «فإن مَن لا له أستاذ لقيط لا أب له، ودَعيٌّ لا نسب له، ومن انتسب تلميذاً إلىٰ غير أستاذه، فهو كمن انتسب ولداً إلىٰ غير أبيه، وهذه الأبوّة: أن يُراعىٰ نسبها ويُحفَظ سببها، إذ هذه الأبوة تفتقر إلىٰ هذه، وهذه لا تفتقر إلىٰ تلك.

وليس شيخَك من سمعت منه، إنما شيخُك مَن أخذت عنه، وليس شيخَك من واجهتك عبارته، إنما شيخُك الذي سَرَتْ فيك إشارته، وليس شيخَك مَن دعاك إلىٰ الباب، إنما شيخك الذي رفع بينك وبينه الحجاب، وليس شيخَك الذي نهض بك حالُه، إنما هو الذي أخرجك من سجن

---

(١) توفي سنة ١٣٣٨هـ.

الهوىٰ، ودخل بك علىٰ المولىٰ، شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتىٰ تجلّت فيها أنوار ربك، أنهضك إلىٰ الله فنهضت إليه، وسار بك حتىٰ وصلت إليه». انتهىٰ.

* * *

وأوصيكم بأداء الفرائض في الجماعات، وفي أول أوقاتها، لتنالوا عظيم الدرجات، وكون أدائها في المساجد مع نية الاعتكاف أوْلىٰ، قال الحبيب عبد الله بن الحسين بن طاهر:

وفي المساجد سرٌّ، ما جلسْتَ بها إلاّ تعجَّبْتَ ممّن يسْكُنُ الدُّوْرا

وعليكم برواتب الصلوات الخمس، وبالمحافظة علىٰ صلاة الوتر كلَّ ليلة، وبصلاة الضحىٰ، وأقلها ركعتان وأفضلها ثماني ركعات، فقد قيل: (لا فَقْرَ مع ضحىٰ، ولا غِنىٰ مع زنا)، وقد تهاون أكثر الناس بها. ولازِمُوا صلاة الأوّابين، وحافِظُوا علىٰ صلاة التراويح والاستخارة، وغيرها من نوافل العبادات، المقيدة منها والمطلقة، مع الحضور، والخشوع والخضوع.

* * *

والموفَّق من العبيد مَن ألقىٰ السمع وهو شهيد، يجيب إذا دعي، ويسمع ويعي، ويقرب ولا يكون بليد، ويسمع من بعيد: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧]، ومَن جَدّ وجد، ومن قرع الباب ولجَّ ولج، ومَن صدق وجد من كلامهم فرج، ومن كل ضيق مخرج، ولكل سالك إلى الله طريق بحسب قوته واستعداده، اللهمّ أعنّا علىٰ ما تريده منا، ووفقنا لما ترضىٰ به عنّا، آمين.

وأوصيكم بملازمة العلم الشريف، والجد والتشمير في طلبه، وتعلمه وتعليمه، ومحبته ومحبة أهل بيته وعترته، وإدخال السرور عليهم، والسعي في قضاء حوائجهم، والزهد في الدنيا والتقلل منها، وعدم المبالاة بفواتها، والسخاء والجود، ومكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه، والحلم والصبر، والتنزه عن دني الاكتساب، وملازمة الورع والخشوع، والسكينة والوقار، والتواضع والخضوع، واجتناب الضحك والإكثار من المزح، وملازمة الآداب الشرعية الظاهرة والخفية، كالتنظيف بإزالة الأوساخ، ونتف الإبط، وإزالة الروائح الكريهة، وتسريح اللحية.

وأحذركم من الحسد والرياء والإعجاب واحتقار الناس وإن كان دونَه بدرجات، وهذه أدواء وأمراض يُبْتَلَىٰ بها كثير من أصحاب الأنفس الخَسيسات الرذيلات.

* * *

وقد أحببت هنا إيراد شيء مما أوصىٰ به سيدي الحبيب عبيد الله بن محسن بن علوي السقاف الفقيرَ وغيره، وذلك إتماماً للفائدة ورجاء لحسن العائدة.

□ قال رضيَ الله عنه ونفعنا به، في آخر «وصيته الكبرىٰ»، بعد أن ذكر جملة من أسماء الموصَىٰ إليهم ما صورته:

(فهؤلاء المذكورون لهم خاصُّ الإيصاء، ونرجو أن نكون جميعاً من أخصّ الأخِصّاء، وإلا فالوصية هذه لكل من بلغته من أهل دائرة الإيمان

والإسلام، وإن شاء الله تعالىٰ يظْهَر نفعُها لدىٰ الخاصّ والعام، سَيَّر الله الكل منا في السيرة المرضيّة، وأصلح لكلنا جميع المقاصد الدينية والدنيوية، وحمانا من كل بلية وأذية قلبية وقالبية، وأنهض هممنا إلىٰ المراتب العلية، صُحْبَةَ أهل الخصوصية، وأجلسنا معاهم في المقاعد الصِّدقيةِ العِنديّة، وأعاننا علىٰ هذا الطلب، بكل ما أحبه لنا هنا وفي المنقلب، من عاليات المناصب والرتب، إنه علىٰ ذلك قدير، وبالإجابةِ جدير.

وإن شاء الله تعالىٰ لا يشُذُّ من قبول الإيصاء من هؤلاء وغيرهم أحد، حسْنَ ظن في الواحد الأحد، بل إنا نؤمل من مولانا أن يكرمنا بالعمل بما بلَغَنا فيه فضيلةٌ عن ربنا ونبينا ﷺ، وأن نسعد كمن سَعِد، ونُكرَم كمن أُكرِم، ولا نأتي إلا ما يحمد، هنا وفي غد، فالمولىٰ لا تتخطاه الآمال، ولا يُبرمُه إلحاح السؤال، بل عطاؤه مبذولٌ في أجزاء أيامنا والليال، وإنما من تعرّض لعطاه فهو الذي يفوز، ولخيرات الدنيا والآخرة يحوز، وفي كل الجسور ــ كلمح البصر ــ يجوز. والتعرض للنفحات الإلهية والهبات الربانية لا يكون غالباً إلا بإدمان السهر، وذرِّ الدموع ــ من خشية الله ــ كالمطر، والجد والتشمير في طاعة الكريم البر، بحْراً أو بر، بدْواً أو حَضَر.

فيا أيها الإخوانُ والأولاد والمحبون، عسىٰ أنكم لنفحات ربكم تتعرضون، ولنزول رحماته تستسقون، وإليه بقوالب الأعمال الباطنة والظاهرة تُقبِلُون، وعليه في كل شأن تُـعَوّلون، وعن بابه الكريم لا تحيدون، فإذا صدقتم فيما هنالك، يوشِكُ أن يفتح لكم الكريمُ المالك، وفي جواره تتنعَّمون، وبكل مشتهاكم تتمتعون، وإلىٰ جماله العليّ تشهَدون وتنظرون،

وما بينكم وبين ذلك حجاب إلا شهود هذه الأغيار، فإذا مزّقتموها فأنتم حينئذٍ المحبوبون المطهرون.

فيا هؤلاء تطهروا من كل جَنَابة، إن أردتم الفوز الأكبر والنعيم الأفخر وتسمعوا خِطَابه، فالحذرَ الحذر من القعود، وموجبات الصدود، فإن العجز أبداً عقيم، ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٥]، فاخرجُوا من سجن الأشباح، ومن أسْر الشهوات وتعاطي فُضُول كل مباح، فإنها تؤدي إلىٰ كل جُناح، فصونوا أنفسكم من كل قبيح، وزيّـنُوها بكل خلُقٍ مليح، فإن الذُبَابَ لا يقع إلا علىٰ الجريح، فحرِّرُوا أنفسكم من رِقّ الأغيار، إن أردتم الفوز بالأسرار والأنوار، وسلعةُ الله تعالىٰ غالية، فأسواق بضائعها: حِلَقُ الذكر، وصافي الفِكر، ومجالس العلم التي بها رفْعةُ القدر، واتخاذ الأخ الصالح المنقذ صاحبه إذا هو ضيّع شيئاً من الأمر، أو وقع في محذور الزجر.

وتحصيل كل خير: في تلاوة الكتاب، ولزوم المحراب، مع التأدب بالآداب، واستحضروا عظمة رب الأرباب، في الذهاب والإياب، وإعطاء المعية حقها، فإن المعية الخاصة هي للخاصة، ولكن مَن وُهِبَها شَهِدَها في كل حال، فهذا العبدُ المخطوبُ لحضَرات الاقتراب، وما بين العبد وبين ربه إلا حجابُ الآثار الكونية، إذا انقشع سحابها ظهرت شموس الحقيقة، فيرىٰ العبد حينئذ العجَب العجاب، التي مباديها لا يسطر في كتاب، ولا يقال في خطاب، وما هو إلا شيء يعرفه من ذاقه من أولي الألباب، ولكن من دون ذلك مفاوزُ وعِقَابٌ صعاب، يسهُل قطْعُها علىٰ

من يسَّر لما هو الصواب، ومن سار ولو مع العَرَجِ وصل، وعلىٰ كل مطلوب حصل.

وما هو ــ أعني الشأن ــ إلا أن تكون القلوبُ مع الرحمن، فإذا كانت معه لا مع الأكوان، فيا بِشارة صاحبها بكل وهْب وامتنان، وإذا عرف العبد ما يطلُب هان عليه ما يبْذُل من قواه في الطاعة أركاناً وجَنان.

ولمّا كان الأمر غيباً علىٰ المحجوب، ولم يرَ سوىٰ بريق الأكوان الكثيفة، توهّم أنْ ليس هناك وراءَها مطلوب، وما ذاك إلا مِن تدْنِسةِ نفسه، والتغطية علىٰ حسّه، من حظوظ نفسه، وإلا فلو كشف له شيء من العطاء لدرىٰ، ثم أحسن السيرَ وجَدّ في السُّرىٰ، ولكن المزكوم لا ينشَقُ ما رائحتُه دون المِسْك، والجبان لا يغْنَم لأنه ليس من أهل الفَتْك، والله إن المغبون كلَّ المغبون من انحجب بالدون، ثم به هو المفتون. اللهمّ انقلنا ومَن بهذا عَنَيْنا من ذل المعصية إلىٰ عزِّ الطاعة، التي هي أجلُّ بضاعة، وأعظمُ صناعة.

وأطلب من نفسي، ومن بهذا أُوْصي: أن يجدَّ في السير، ويخلِّفَ الغير، ونحمل أنفسنا علىٰ اللحاق بأهل الخير، ممّن شدّوا مَيازرَ العزَمات، في حميد المعاملات، لرب البريات، ممن لم يُرَوا إلا وسيماء العبودية عليهم ظاهرة، في الباطن منهم والظاهر، والكل منهم لله تعالىٰ ذاكر وشاكر، عسىٰ أنّا منهم ومعهم، هنا وفي اليوم الآخر، فنعم العبد الذي غَيْرته ومنافَستُه في حَسِيْنِ المتاجر، ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١]، ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، ويتاجر

المتاجرون)، انتهىٰ ما أردنا نقله، وفي هذا القدر كفاية لمن أراد الله له الهداية.

* * *

وأما الأذكار والأوراد والأدعية التي نأتي بها، المقيدة بأوقاتها والمطلقة، فمنها:

قولُ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، سبعين مرة (٧٠) بعد صلاة العصر، وقولُ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧]، أربعين مرة أو مئة مرة (١٠٠) بعد صلاة الوتر أو في أثنائها، وقولُ: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين» مئة مرة (١٠٠) بعد صلاة الظهر، وكذا بعد صلاة الصبح.

ومما نأتي به أيضاً: قولُه تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] سبع مرات، ثم الآية التي تليها: ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ إلىٰ آخرها، ثم ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ أربعمئة وخمسين مرة (٤٥٠)، وقولُه تعالىٰ: ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم:٥٨] أربعمئةٍ وأربعاً وأربعين مرة (٤٤٤)، يفصل بين الأربع والأربعين بسكتة خفيفة، وبين الأربعين والأربعمئة كذلك، وقولُه تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤] مئة مرة (١٠٠) كل يوم. وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٦] الآية بكمالها، ثم يقول: «اللهم صل وسلم عليه» ثلاثمئة مرة (٣٠٠).

ومما نواظب عليه كذلك قوله تعالىٰ: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى . وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى﴾ [طه:٢٥-٢٦] كل يوم مئة مرة (١٠٠)، وقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة:٢٠١] الآية، مئة مرة (١٠٠)، وقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:١٠] مئة مرة (١٠٠)، وقوله تعالىٰ: ﴿رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون:٢٩] مئة مرة (١٠٠)، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣] الآية عشر مرات (١٠).

ومما نأتي به كل يوم أيضاً: قول: «الصّلاة والسلامُ عليك يا سيدي يا رسول الله، قلَّت حيلتي أدركني» مئة وست عشرةَ مرة (١١٦)، ثم: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» مئة وست عشرة مرة (١١٦).

ومن ذلك: قولُ: «يا لطيف يا لطيف» مئة وتسعاً وعشرين مرة (١٢٩)، ثم: «يا لطيف، الطف بي في تيسير كل عسير، فإنّ تيسير كل عسير عليك يسير، وأسألك اللطف والعافية، في الدنيا والآخرة» أربع مرات (٤)، وكذلك استغفار السلف رضيَ الله عنهم: «أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الحي القَيّوم الذي لا يموت وأتوب إليه، ربِّ اغفر لي» سبعاً وعشرين مرة (٢٧)، وقولُ: «اللهمّ أعني علىٰ ذكْرك وشكرك وحسن عبادتك» دُبُرَ كل صلاة مكتوبة.

ونأتي بعد صلاة الضحىٰ بهذا الدعاء المشهور، وهو: «اللهمّ إنّ الضُّحىٰ ضُحاؤك، والبهاءَ بهاؤك، والجمال جمالك، والقوة قوتُك، والعصمةَ عصمتُك. اللهمَّ إن كان رزقي في السماء فأنزله، وإن كان في

الأرض فأخرجه، وإن كان مُعسِراً فيسِّرْه، وإن كان بعيداً فقرِّبه، وإن كان حراماً فطهِّرْه، بحق ضُحائك وبهَائك وجمالك وقوّتك وعصمتِك آتني ما آتَيْت عبادك الصالحين»، ثُم: «ربِّ اغفر لي وارحمْني وتُبْ عليّ إنك أنت التواب الرحيم» مئة مرة (١٠٠).

ونقول عند دخول المسجد: «السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، اللهمّ إني عبدك وزائرُك، وعلىٰ كل مَزُورٍ حقٌ، وأنت خيرُ مَزور. اللهمّ إني أسألك برحمتك أن تفكّ رقبتي من النار وتُدخِلَني الجنة».

* * *

هذا ما حضرني الآن من الأذكار التي نواظب عليها مع الأوراد المشهورة، كأوراد وأدعية الشيخ أبي بكرٍ بن سالم المختصرة، ووردَي الإمام النووي، والحبيب عبد الله بن علوي الحداد «اللطيف»، و«راتبه» المعروف، و«حفيظة» الشيخ علي بن أبي بكر السكران؛ و«عقيدته»، والمعشَّرات والمسبَّعات.

وكذلك الأدعية والاستغاثات التي أوصاني بها وأجازني فيها شيخي والدي البركة عبد الرحمن بن محمد المشهور ــ نفعنا الله به ــ آخر الليل وقت السحر، فمن ذلك ما يأتي:

يا مَن يرىٰ ما في الضميرِ ويسمعُ ... أنت المُعَدُّ لكلِّ ما يُتَوقَّعُ
يا مَن يُرَجَّىٰ للشدائدِ كلِّها ... يا مَن إليه المُشتكىٰ والمَفزَعُ

يا مَن خزائنُ رزقِهِ في قولِ: كُنْ — امنُنْ فإنّ الخيرَ عندَك أجمَعُ
ما لي سوىٰ فقري إليكَ وسيلةٌ — فبالافتقارِ إليكَ فقريَ أدفَعُ
ما لي سوىٰ قَرْعي لبابك حيلةٌ — فلئن ردَدْتَ فأيَّ بابٍ أقرَعُ
ومَن الذي أدعو وأهتفُ باسمِهِ — إن كان فضلُكَ عن فقيرك يُمنَعُ
حاشا لجُودِكَ أن تُقنِّطَ عاصياً — الفضلُ أجزلُ والمواهبُ أوسعُ
ثم الصّلاةُ علىٰ النبيِّ وآلِهِ — خيرِ الأنامِ ومَن به نتشَفَّعُ

❁ ❁ ❁

لبِسْتُ ثوبَ الرّجا والناسُ قد رقَدوا — وبتُّ أشكو إلىٰ مَوْلايَ ما أجِدُ
وقلتُ: يا أمَلي في كلِّ نازلةٍ — ومَن عليهِ لِكشْفِ الضُّرِّ أعتمدُ
أشكو إليكَ أموراً أنت تعلَمُها — ما لي علىٰ حَمْلِها صبرٌ ولا جلَدُ
أطلُبُ منكَ أموراً أنتَ تعلَمُها — ما لي علىٰ فقْدها صبرٌ ولا جَلَدُ
وقد مدَدْتُ يدِيْ بالذُّلِّ مُبتهِلاً — إليكَ يا خيرَ مَن مُدَّتْ إليهِ يدُ
فلا تردَّنَّها يا ربُّ خائبةً — فبحْرُ جودِكَ يروي كلَّ مَن يرِدُ

❁ ❁ ❁

يا ربِّ يا عالِمَ الحالْ — إليكَ وجَّهْتُ الآمالْ
فامْنُن علينا بالإقبال — وكُنْ لنا، وأصلِحِ البالْ

❁ ❁ ❁

ربَّنا انفعْنَا بما علَّمتَنا — ربِّ علِّمْنا الذي ينفَعُنا
ربِّ فقِّهْنا وفقِّه أهلَنا — وقرَاباتٍ لنا في دينِنا
مع أهلِ القُطرْ أنثىٰ وذكَرْ

إلىٰ آخر القصائدِ الثلاث المشهورة.

* * *

ونأتي أيضاً بالأبيات المنسوبة إلىٰ الشيخ الأديب المنيب أحمد بن عمر باذيب تلميذ الإمام الداعي إلىٰ الله القطب، سيدي أحمد بن عمر بن سميط نفعنا الله بهم، آمين، وهي هذه[١]:

نستغفـرُ الله ونـدعـوهُ عسـىٰ ... يصفَـحُ عنّـا مـا اقتـرَفْنـا مِنْ أسـا
يـا ربِّ عفـواً ورضـىً ورحمَـهْ ... هبْنـا وهـب كـلَّ عصـاة الأُمَّـهْ
وتُـبْ علينْـا تـوبـةً نصـوحـا ... وزكِّنـا جِسْمـاً بهـا ورُوحـا
واجعَـلْ إلـىٰ رحمتِـكَ انقـلابَنـا ... وفـي رضـاكَ سعْيَنـا ودَأْبَنـا
وفـي مَـراقـي المصطفـىٰ فـرقِّنـا ... ومِـن سُـلافِ حبِّـه فـأسْقِنـا
واجعَـلْ علـىٰ ملّتِـه وفـاتنـا ... واعمُـرْ بـأعمـال التقـىٰ أوقـاتنـا
والْطُـفْ بنـا يـا ربَّنـا وعـافِنـا ... وانظُـر إلينـا واعْـفُ عـن إسـرافِنـا
وأظهِـر الـدِّيـنَ وبيِّـنْ فضْلَـهُ ... واقمَـعْ أعـاديـهِ وسـدِّد أهْلَـهُ
واجعَلْـهُ منصـوراً علـىٰ الأديـانِ ... وعـاليـاً فـي سـائـرِ البلـدانِ
وكثِّـرِ الـدَّاعيـنَ والأدِلَّـةِ ... والمُـرشـديـنَ لسُلـوكِ المِلّـةِ
وكُنْ لهم واكلأْ وصُنْهُمْ وأطِلْ ... أعمـارَهـمْ واردَعْ بهـم كـلَّ مُضِـلّ
آمـيـن آميـن إلهـي فـاستجِـبْ ... واسمَعْ، وقل لي: هاكَ عبدي ما تحبّ

---

(١) هذه الأبيات هي خاتمة «المنظومة الألفية» التي نظم فيها الشيخ أحمد باذيب خطبة الإمام طاهر بن حسين بن طاهر.

بحـرمـةِ الـذاتِ وسـرِّ الـذكـرِ وجـاهِ طـه مصطفـانـا الطهْـرِ
صلـىٰ عليـه الله مـا نـورٌ أضـا في الكونِ وانهَلَّتْ شآبيبُ الرِّضا
والآلِ والأصحاب أرباب النهىٰ والحمـدُ لله ابتـداءً وانتهـا

❋ ❋ ❋

ومما نأتي به أيضاً: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] عند رؤية النِّعم في النفس والأهل والولد والمال، وقول: «يا كريم» مئة مرة (١٠٠)، وقول: «سبحان ربّيَ العظيم وبحمده» مئة مرة (١٠٠) بعد صلاة الجمعة، وقول: «يا قوي» مئة وست عشرة مرة (١١٦) عند شرب القهوة، وقول: «يا حفيظ» كل يوم مئة مرة (١٠٠) وذكْرُ المعية وهو: «الله معي، الله حاضري، الله ناظري، الله شاهدي، الله قريب مني».

ومما نأتي به أحياناً قول: «يا تريم وأهلَها» خمساً وعشرين مرة (٢٥)، وقول: «بو بكر يا بن سالم خاطرك اليوم معنا» مئة مرة (١٠٠).

❋ ❋ ❋

وبالجملة، فقد أوصيتكم وأجزتكم أيها الإخوان والمحبون، ومن أرادها ممن يطلبون، وذلك من حيث العمومُ في التعلم والتعليم، والإفادة والاستفادة، والذكر والمذاكرة، والنصح والمناصحة، وفي التوجه إلىٰ الله تعالىٰ بكل ما يطلبُ منكم، وفي محالفة الصَّبر علىٰ الطاعات، والصبر عن المخالفات، وإتيان عزائم الأمور علىٰ رُخَصِها إلا عند الضيق، فلا بأس بإتيان الرخص مع أدبها.

وأجزتكم في كل ما بلغكم من الحزوب والأوراد والأذكار، والدعوات والاستغفارات والاستغاثات، والصلوات علىٰ خير البريات، وغير ذلك.

وكلُّ ذلك مع تفقُّهِ المعنىٰ. الذي به حصولُ التقريب والإدنا، مع الصدق والإخلاص، والحضور التام، والملازمة حسب الطاقة لياليَكُم والأيام، ومن قام به عذرٌ فهو معذور، وكلٌّ أدرىٰ بعذره، وإلىٰ الله تصيرُ الأمُور.

* * *

قال سيدي الحبيب عبيد الله بن محسن في الوصية المشار إليها آنفاً: «ومَن أراد البلوغ إلىٰ مراتب الرجال فليحرك جَعَاجِعَه، ويفحَصْ بَعابِعَه، في تصحيح الأعمال، وتحسينها في كل حال، فإذا هو عما قريب في مراتب الكمال، يطالع الأسماء الحُسنىٰ والصفات، وتتجلىٰ له معاني الآيات، وتنكشف له المغيَّبات: العُلْويات والسفليات، فيرىٰ منظراً عظيماً، ويرقىٰ مقاماً فخيماً، فتظهر له الحقائق وتخاطبه ألسُنُ ذرَّات الوجود بتوحيد الخالق، فحينئذ يطيب حالُه، ويتوسع باله، ويتخلق بأخلاق الله، ويكون قبلةً لأهل الله، يمد كلَّ أهل الوجود، لكونه نائب الحضرة المحمدية في كل مراقي الصعود والشهود، فمن وجد الله فما فقد شيئاً، ومن فاته فاتَهُ كلُّ شيء أخروي ودنيوي، لهذا يقول القائل:

يا راحتي عندَما تشتـدُّ بيْ عِلَلي
أنتَ اقتراحـي علىٰ الأيامِ والدُّولِ

لو كنتَ لي وفقَدْتُ الأهل كلَّهمُ
والمال مِن بعد فقْد الأهلِ لم أسَلِ
لأنّ لي فيك منهمْ كلِّهمْ بدَلاً
وليس في كلِّهم لي فيك من بَدلِ

والذي هو مع الباري خيرُه منه عليه جاري، وسره فيه ساري، وكلُّها طريقُها من حيْثُ الغالبُ: المجاهدات، فبها المشاهدات الواردات، وبها المواصَلات، والمقامات مكاسب، والأحوال مواهب، وفي الحقيقة هما من المواهب، إذ لولا التوفيق، لما سلك سالك في الطريق، والله يتولانا ويهبُنا من فضله جزيل الهبات، ويمضي كل أجزاء ساعاتنا في حَسيْن الطاعات».

انتهىٰ المقصود، وقد تعدينا الحدود؛ لأننا نوينا الاقتصار، مع كمال الاختصار، ولكنّ الخِيَرةَ في الواقع، ولعل في ذلك لنا وللمُجازين المذكورين منافع، تحصل لنا ولهم ولكل سامع لله وطائع، والحمد لله علىٰ ما جاد به علينا، وأوصله إلينا، ونسأله الشكر علىٰ نعمائه، وأن يعمنا برحماه، ويطهر قلوبنا وقوالبنا من ران الذنوب، وشؤم الكسوب، فإنّا لَمِن أحوج عباد الله إلىٰ المغفرة وجميل الستر.

اللهم، يا مَن أظهر الجميل وسترَ القبيح، مُنَّ علينا بفوق ما نرجوه، واجعل ميزان حسناتنا رجيح، وكل فعلنا وقولنا صحيح مليح، آمين، اللهم آمين.

❊ ❊ ❊

ومما أُوْصِي به إخواني المذكورين كلما قرأوا ذكراً أو دعاءً فوجدوا في نظم القرآن العظيم ممّا مَرّ من الأذكار أو غيرها، أن ينووا بذلك التلاوة لينالوا فضلها.

كما أني أوصيهم وكلَّ مَن وقف علىٰ هذه الورقات أن لا ينسوني ومشايخي وأولادي وكافة مَن تعلق بي من صالح الدعوات، في الخلوات والجلَوات، وأطلب منهم أن يسألوه لي من أهل الخصوصيات، في حال حياتي وبعد الممات، وفقني الله وإياهم لما يحبه ويرضاه، ورزقنا جميعاً حسن الخاتمة عند لقاه، وإني للجميع داعٍ، ولحقوقهم مراعٍ إن شاء الله، واستودع الله دينهم وأمانتهم وخواتيم أعمالهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه الحقيرُ الفقير لابسُ ثوبِ التقصير

سالم بن حفيظ بن عبد الله بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم

عفا الله عنه وعن والديه والمسلمين، آمين

ببلدة (مشطه) في ١٨ شهر ربيع الأول عام ١٣٦٤هـ

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

❑ ❑ ❑

الإجازة الثالثة

من الحبيب محمد بن هادي بن حسنٍ السقاف
للحبيب سالم بن حَفيظ بن عبد الله
ابن الشيخ أبي بكر

ترجمةُ
الحبيب محمد بن هادي بن حسنٍ السقاف

هو السيد محمد بن هادي بن حسن بن عبد الرحمن بن حسن بن سقاف بن محمد بن عمر بن طه بن عمر بن طه بن عمر بن عبد الرحمن ابن محمد بن علي بن الإمام عبد الرحمن السقاف، إلىٰ آخر النسب.

الإمام العارف بالله والدالُّ عليه، صاحب الولاية الكبرىٰ، والخلافة العظمىٰ، نسخَةُ السلف الماضين، أهل اليقين وعين اليقين وحق اليقين، إمام العلماء وقدوة الأصفياء، ما رآه راءٍ إلاّ وذكر الله تعالىٰ، لما عليه من الجلال والوقار، لا تستطيع تحدُّ النظر إليه لما عليه من الأنوار، العلاّمة البحاثة المدقق، عين الزمان، ووحيد الأوان، والمجلي في ميدان العلوم والعرفان.

ولد بمدينة (سيون) سنة ١٢٩١هـ، وتربىٰ بوالده الإمام هادي بن حسن، ونشأ علىٰ البر والتقوىٰ، ودأب في تحصيل العلوم بجِدٍّ ومثابرة حتىٰ تضلَّع من العلوم الدينية والعربية: منطوقها ومفهومها.

وكان جلّ أخْذه عن والده، وعن الإمام العلاّمة علوي بن عبد الرحمن السقاف الذي يُروىٰ عنه أنه قرأ «المنهاج» للنووي خمسمئة مرة، وعن الحبيب عبيد الله بن محسنٍ السقاف، والحبيب أحمد بن عبد الرحمن

السقاف، والحبيب علي بن محمد الحبشي، وغيرهم من علماء (سيئون)، كما أخذ عن بقية علماء حضرموت أخْذ تبرُّكٍ وإجازة، علويِّينَ وغيرَ علويين، وحطَّ عليه مشايخُه أنظارَهم، وظهرت عليه أنوارهم وأسرارهم، حتىٰ صار علماً يُهتدىٰ به، وإماماً يُقتدىٰ بأقواله وأفعاله.

وانتهت إليه ــ بعد أن وارىٰ مشايخَهُ في أجداثهم ــ الخلافَةُ العلوية، وقام بنشر الدعوة المحمدية، وتصدر للتدريس، فعقد الدروس المتعددة منذ عنفوان شبابه، في فنون مختلفة في أكثر ساعات ليله ونهاره، لا يستريح إلا لحظات بين الليل والنهار، فكل وقته يقضيه في التدريس ومدارسة العلم، فتخرَّج عليه عدد كبير جداً من التلاميذ من كل وادي حضرموت.

وتمتاز دروسه بالتحقيق والتدقيق والتعمق في البحث، فلا يترك مسألة دقيقة تمرُّ أو شاذة تفوته في كل فن حتىٰ يحلَّ عويصَها. ولهذا، تجد الذين تخرجوا عليه جُلُّهم إن لم يكن كلُّهم صاروا من العلماء الكبار، تولىٰ بعضهم منصب الإفتاء، والبعض تولىٰ منصب القضاء الشرعي، وقد مد الله في عمره.

وله رحلات داخل حضرموت وخارجها، فرحل إلىٰ مصر والقدس والشام، ورحل إلىٰ الحرميْن الشريفين عدة مرات، وأكثر رحلاته مدوّنة، وانتفع به في هذه الأقطار كثير ممن أراد الله سعادته.

وجمع بعض تلاميذه عدة مجلدات من كلامه المنثور الذي يلقيه في دروسه ومجالسه ووعظه وتذكيره، وكلها أنفاسٌ عالية، ونفائس غالية.

وله عدة رسائل مفيدة، ومنها هذه الإجازة التي هي كرسالة مستقلة أجاز بها العلاّمة الحبيب سالم بن حفيظ بن الشيخ أبي بكر بن سالم بطلبٍ منه، وقد أخبرني ابنه علي: أن والده المترجَم له، بعد أن كتب هذه الإجازات للحبيب سالم بن حفيظ، إذا جاءه من يطلب الإجازة منه يقول له: (اكتُبْ لك نسخة من إجازتنا للأخ سالم بن حفيظ، واكتُب اسمك عليها بدلاً عن اسمه، فقد أجزناك بها).

ولم يزل الحبيب محمد المترجَم له ببلده (سيون) شمساً مشرقة تضيء بنورها وادي حضرموت بل العالم كله، يقصده الناس لاستمداد بركاته والتماس دعواته وهو مستغرق في دروسه وأوراده وأذكاره وأعماله الصالحة، حتىٰ وافاه المنون، ببلده (سيون)، سنة ١٣٨٢هـ.

وقد جمع ابنه حسين نبذةً عن حياته تقرأ في بعض المجامع، وتُرجم له في «تاريخ الشعراء» ــ الجزء الخامس، وتُرجِم له في «التلخيص الشافي» وفي «الدليل المشير».

❏ ❏ ❏

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي كشف الغِشاوة عن قلوب عباده الصالحين، المرادِ منهم والمريدين، وهداهم إلىٰ لزوم سبيل المتقين، وحمىٰ قلوبهم من الزَّيْغ بالهوىٰ المُرْدي بتصحيح الاعتقاد والثبات في الدين، فأوردهم عذْبَ مناهل حق اليقين وعلم اليقين وصفو اليقين، حتىٰ انحسمت عن بواطن مادة الشك والرَّين، وأُترعت لهم كؤوس الفهوم، من كوثر غرائب العلوم، المنطوق منها والمفهوم.

وصلىٰ الله علىٰ سيّدنا محمّد وجميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين ، وآله وأصحابه أجمعين، صلاةً وسلاماً لا يحصرهما حدّ ولا يقف علىٰ حدهما أحد، باقيَيْن ببقاء الله رب العالمين، دائميْن بدوامه أبد الآبدين.

وبعد:

فقد طلب الأخ الصديق، الماشي علىٰ التحقيق، علىٰ قدم الاتّباع لجده الرسول والسلف الفحول، المحفوف بألطاف الله، المحفوظ بحسن رعاية الله، الجوهر الأسْنىٰ، الشريف حسّاً ومعنىٰ، حليف العلم والعبادة، اللائحةُ عليه أنوار السعادة، الصفيّ الأنور، الوفيّ الأطهر، الراقي علىٰ درجات المكارم، العلامة سالم بن حفيظ بن الفخر الشيخ أبي بكر بن

سالم، من الفقير إلىٰ عفو الله، الوصيةَ والإجازة، فماطَلْتُه بذلك، لعَجْزي أن أعظ مثله، واعترافي بأني لست أهلاً أن أجاز فضلاً أن أجيز؛ لأن الوعْظَ زكاةٌ نِصَابُها الاتعاظ، فمن لا نصابَ له كيف يزكِّي؟ وفاقدُ الثوب، كيف يسترُ عورتَه؟

ولا يستقيمُ الظلُّ والعُـودُ أعـوَجُ

* * *

ومما أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ عيسىٰ ابن مريم علىٰ نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام: «يا ابن مريم، عِظْ نفسك، فإن اتعظْتَ فعِظِ الناس، وإلا فاستَحْي مِني»، وأنت أيها الأخ الفاضل أهدىٰ من أن تُهدىٰ، وأعرف وأعلم بالحق:

ومِـن عجـبٍ أهـداءُ تمـرٍ لخيْبـرٍ
وتعليـمُ زيـدٍ بعـضَ علـمِ الفـرائـضِ

وفيما وعَظَ رسول الله ﷺ بقوله: **«تركْتُ فيكم واعظَيْن: ناطقاً وصامتاً كفَاية، أمّا الناطقُ فالقرآن، وأمّا الصامتُ فالموت»**[١]، ففيهما غُنية لكل متّعظ، فمن لا يتعظ بهما فكيف يعِظ؟

* * *

فأقول مستعيناً بالله وبهِ العون في الفعل والقول:

---

(١) لم أجده.

أوصي أخي ونفسي وجميعَ العباد المؤمنين بما أوصىٰ به رسول الله ﷺ حيث قال: «صلِّ صلاةَ مودِّع»(١) فلقد أوتيَ جوامعَ الكلم وفصْل الخطاب، ولا ينتفع الوعظ إلا به. فمن غلب علىٰ ظنه في كل صلاة أنها آخِرُ صلاة، حضَرَ قلْبُه وتنبّه للاستعداد بعد الصلاة، ومَن عَجز عن ذلك فلا يزال في غفلة دائمة، وفُتورٍ مستمر، وتسويف متتابع، إلىٰ أن يدركه الموت، وتُهلكه حسرة الفوْت، وأنا أسأل الله أن يرزقني وأخي هذه الرتبة، فإني طالب لها وقاصرٌ عنها.

* * *

وأوصيه ونفسي والإخوان المؤمنين بوصية الله للأولين والآخرين: لزوم طريق المتقين، قال رسول الله ﷺ: «خير الزاد التقوىٰ»(٢)، أي: خير ما تزوّده الإنسان في سفره إلىٰ آخرته هو تقوىٰ الله عزّ وجل؛ لأنها الخَصلة الجامعة لكل فضيلة، المانعة لكل رذيلة، إذ هي اجتناب كل ما تخاف منه ضرراً في دينك، حتىٰ فضولِ الكلام، وفضولِ الطعام، وفضول الجاه

---

(١) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (١٠٢)، (٥٢٤)، والطبراني في «الأوسط»، وابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» (١٠٨:١)، والقضاعي في «الشهاب» (٩٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٦:٤)، ينظر «فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب» للغماري (١٣٨:٢).

(٢) رواه العسكري في «الأمثال»، وأبو الشيخ في «الثواب»، كلاهما عن ابن عباس به مرفوعاً. «كشف الخفا» (٤٧٣:١) و«كنز العمال» (٥٦٣٥). وصريح القرآن شاهد له، قال تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧].

والمال، وغير ذلك من المباحات، من كل ما يؤثّر في قربك إلىٰ مولاك العالم بالخفِيّات.

ومن ثَمّ أَوصىٰ الله بها الأولين والآخرين في كتابه الرفيع عُلاه حيث قال فيه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

ولو كانت في العلم خَصلة هي أصلح للعبيد وأجمع للخير، وأعظم للأجر وأدفع لكل ضير، وأجلّ منها في العبودية والعبادة، لأوصىٰ الله بها عباده، لكمال حكمته وسَعة رحمته، ولأنه أعلمُ بصلاحِ عبده ونفْعِهِ وضره، وأنصَحُ له وأرحم به حتىٰ من نفسه، فضلاً عن غيره.

وله مراتب:

١ ــ أولها: التقوىٰ عن الشرك.

٢ ــ ثم عن سائر الكبائر.

٣ ــ ثم عن الصغائر.

٤ ــ ثم عن المكروهات.

٥ ــ ثم عن المباحات.

٦ ــ ثم عن كل ما لم يكن خالصاً لله عز وجل، وهو تقوىٰ الصِّديقين.

قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: «التقوىٰ: التحرُّزُ عن المخَاوف، والتشميرُ للوظائف، وحفظ الحواسّ، وعد الأنفاس، وتنزيه الوقت من موجبات المَقْت، وحفظ البِرّ، وترك الوِزر، والاحتماء التامّ عما يسخط المولىٰ العلاّم».

وقد جمع الله تعالىٰ وتقدَّس خصال التقوىٰ في قوله سبحانه في كتابه المكنون: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]، ومن ثَمَّ رُوي أنه صلىٰ الله عليه وسلم قال: «مَن عمِلَ بهذه الآية فقد ٱستكمَلَ الإيمان»(١).

وذلك لأن الكمالات الإنسانية مندرجة في ضمنها، لأنها ـ مع اتساعها وتشعبها ـ منحصرة في ثلاثة أقسام:

١ ـ الاعتقادات الدينية، وأشار إليها قولُه سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾.

٢ ـ وحسن معاشرة الخلق، وأشار إليه قولُه سبحانه: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾.

٣ ـ وتهذيب أخلاق النفس، أشار إليه قوله سبحانه: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾.

ثم قال جل وعلا: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾، أي: أهل هذه الأوصاف ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في إيمانهم؛ لأن المنافق لم تساعده نفسُه علىٰ جميع ذلك

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرج ابن أبي حاتم الرازي في «تفسيره» بسنده إلىٰ أبي ذر أنه سأل رسول الله ﷺ: ما الإيمان؟ فتلا عليه الآية؛ قال: ثم سأله أيضاً، فتلاها عليه، ثم سأله، فقال: «إذا عملت حسنة أحبها قلبك، وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك»، وفيه انقطاع، ينظر: «تفسير ابن كثير» (١:٤٥٠).

وإن تظاهر بظواهرَ من الأعمال ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾، أي: الكاملون في التقوىٰ، فكأنهم المتقون حقيقة وغيرُهم مجَازاً.

* * *

وبتعظيم أهل العلم وإعطائهم حقَّهم كائنين ما كانوا لأنهم حُمّال الشريعة المطهرة[١]، الدعاة إلىٰ الله، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، فبهم يُقتدىٰ وبنورهم يُهتدىٰ، والقرآن مُشعر بشرفهم وفضلهم، والسنة المحمدية مصرِّحة برفعة قدْرهم، فيكفي في فضلهم قولُه تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، واستغفارُ حيتان البحر للعالمِ في حياته وبعد موته إلىٰ يوم القيامة؛ لأن العلم يُنتفع به بعد موت العالِم إلىٰ يوم القيامة، ولهذا كان ثوابه لا ينقطع بموته، ففيه دليل علىٰ شرف العلم وتقدّم أهله، ومَن أوتيه فقد أوتي الحكمة وخيراً كثيراً، والحكمة هي: العلم مع العمل، وفي مواضع كثيرة من القرآن التنويه بتعظيم قدرهم وفضلهم والانقياد لهم.

ومن كلام رسول الله ﷺ: «**الأنبياءُ لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً، إنما ورَّثوا العلم**»[٢]، فالعلماءُ ورثةُ الأنبياء، و«**مجلسُ علمٍ أفضلُ عندَ الله من**

---

(١) هكذا العبارة في الأصل، ولعل تقديرها: وأوصيكم بتعظيم أهل العلم...

(٢) رواه أبو داود (٣٦٤٣).

صلاةِ ألف ركعة، وحضورِ ألف جنازةٍ، وعيادة ألف مريض»(١)، فإذا كان هذا الثوابُ العظيم في مجلسهم، فكيف بهم؟

فاحرص علىٰ حضور مجالسهم، واقتناص غرائب نفائسهم، والتقاط دُرَرهم. وأحسن مجاورتهم تغنمْ، واصمت تسلم، ولا تعجَلْ تندم، ولا تكسل تُحرَم، ولا تضمَن تَغرَم، ولا تصاحب صاحبَ السوء تتَّهم، ولا تتكلم بما لا تعلم، ولا تقل غير الحق فتأثم، والصبر مفتاح الفرج، والكرم مفتاح الرزق، والبخل مفتاح الفقر، والطمع مفتاح الفضيحة، والكسل مفتاح الفقر في الدنيا والآخرة، والعلم مع العمل خير الأعمال في الحال والمآل.

* * *

رويَ عنه ﷺ: **«العلماء أُمناءُ الله علىٰ عباده ما لم يخالطوا السلطان ولم يدخلوا علىٰ الأغنياء ولم يدخلوا في الدنيا، فإذا خالطوا السلطان ودخلوا في الدنيا فقد خانوا الرسل، فاعتزلوهم واحذروهم»**(٢)، وعنه ﷺ

---

(١) رویٰ بعضه ابن ماجه (٢١٩).

(٢) حديث: «العلماء أمناء الله علىٰ خلقه»، أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١١٣)، وابن عساكر في «تاريخه»، وابن الأعرابي في «معجمه» (١ : ٥٧).

وحديث: «العلماء أمناء الرسل علىٰ عباد الله ما لم يخالطوا. . .» الحديث، أخرجه الحسن بن سفيان، والحاكم في «تاريخه»، والديلمي، والرافعي في «تاريخه»، يُنظر: «كشف الخفا» (٢ : ٨٤) (١٧٤٨)، و«تنزيه الشريعة» (٢ : ٨٤)، و«موضوعات» ابن الجوزي، و«الكنز» (٢٨٩٥٢)، (٢٩٠٨٣).

أيضاً: «ويلٌ للذي لا يعلمُ مرةً واحدة، وويل لمن يعلَمُ سبْعَ مرات»(١)، وعن أبي الدرداء رضيَ الله عنه أنه قال: إني لا أخاف أن يُقالَ يومَ القيامة: يا عُوَيمر، ماذا عَلِمت؟ ولكن أخافُ أن يُقالَ لي يومَ القيامة: ماذا عَمِلت؟

روي عن عيسىٰ ابن مريم صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ نبيِّنا أنه قال: (من عَلِمَ وعمل وعَلَّم فذلك الذي يُدعىٰ في مَلَكوت السماوات عظيماً)(٢)، وقال عليه الصلاة والسلام: (ما أكثَـرَ الأشجار وليس كلّها يُثمر، وما أكثَـرَ الثمار وليس كلُّها بطيب، وما أكثَـرَ العلماء وليس كلٌّ بمُرشد، وما أكثَـرَ العلومَ وليس كلُّها بنافع).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لعبد الله بن سلام رضي الله عنه: (مَن أربابُ العلوم؟) قال: الذين يعملون، قال: (فما ينقّي العلم من صدور العلماء؟) قال: الطمع.

قال سهل بن عبد الله: (الناس كلهم موْتىٰ إلا العلماء، والعلماء كلُّهم سُكارىٰ إلا العاملون بالعلم، والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصون، والمخلصون كلهم علىٰ خطر عظيم).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه أنه قال: (إذا لم يعمل العالمُ بعلمه يستَنكفُ الجاهل أن يتعلم منه).

وقال النبي ﷺ: «يُغفرُ للجاهلِ سبعونَ مرة، ولا يُغفَرُ للعالِم مرةً

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخه»، كما في «كنز العمال» (٤٤٢٤٣).

(٢) «إحياء علوم الدين» (١ : ١٥).

واحدة»(١)، وقال عليه الصلاة والسلام: «أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة عالمٌ لم ينفَعْه الله بعلمه»(٢)، وقال النبيُّ ﷺ: «لا يكونُ العالمُ عالِماً حتىٰ يكونَ بالعلم عاملاً»(٣)، وقال النبيُّ ﷺ: «مَن ازداد علماً ولم يزدَدْ هُدىٰ — وفي رواية: زهداً — لم يزدَدْ من الله إلا بُعْداً»(٤)، وقال النبيُّ ﷺ: «يكونُ في آخر الزمانِ عبادٌ جُهّال، وعلماءُ فُسّاق»(٥).

وقال بعض الحكماء: العلم في غير طاعة مادةُ الذنوب. وقال بعض العارفين: علماء السوء أضرّ علىٰ الدين المحمدي من إبليس.

وقال الحسن البصري رحمة الله عليه: عقوبة العلماء موت القلوب، وموت القلوب طلَبُ الدنيا.

وقال مالك بن دينارٍ رحمة الله عليه: قرأتُ في بعض الكتب أن الله عزّ وجل يقول: «إن أهون ما أنا صانعٌ بالعالِم إذا أحبّ الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتي من قلبه»، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إذا

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢:٥٢٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١:٣٠٥) برقم (٥٠٧).

(٣) أخرجه ابن عساكر من حديث أبي الدرداء، كما في «كنز العمال» (٢٩٥٢٩).

(٤) أورده الهندي في «كنز العمال» (٢٩٠١٦)، وعزاه الديلمي، والعجلوني في «كشف الخفا» (٢:٣٢٢).

(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤:٣١٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢:٣٣١)، وهو عند ابن حبان في «المجروحين» (٣:١٣٥)، والذهبي في «الميزان» (٩٨٧٧)، وأصله في «السنن الأربعة»، ولفظه: «من سئل عن علم فكتمه...» الحديث.

رأيتم الرجل محبّاً للدنيا فاتَّهمُوه علىٰ دينكم، فإنّ كل محب يخوض فيما أحب.

وكان يحيىٰ بن معاذٍ الرازي رحمه الله تعالىٰ يقول: يا أصحاب العلم والسنة، قصوركم قيصرية، وبيوتكم كسْروية، وأبوابكم ظاهرية، وأخفافكم جالوتية، ومراكبكم قارونية، وطباعكم مَارِدية، وآطابكم فرعونية، ومآتمكم جاهلية، ومذاهبكم شيطانية، فأين المحمدية؟

وقال مالك بن دينار رحمه الله: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زالت مواعظه عن القلوب، كما يزول القطْر عن الصَّفاة.

وقال عيسىٰ ابن مريم صلوات الله وسلامه علىٰ نبيِّنا وعليه: مثل الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل مرأة زنَتْ في السرّ، فظهر حملها فافتضحت، فكذلك مَن لا يعمل بعلمه: يفضحه الله يوم القيامة علىٰ رؤوس الأشهاد.

وقال عليه الصلاة والسلام: **«مَن كتم علماً عنده ألجَمَه الله بلِجَام مِن نار»**[١].

وقال رجل للحسن رحمه الله: إن فقهاءنا يقولون كذا، فقال الحسن:

---

(١) ورد بألفاظ متعددة، فرواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢: ٤٩٩)، والخطيب في «تاريخه» (٦: ١٨٣، ١٠: ١٣٠، ١٤: ٣٣٩)، والطبراني في «الكبير» (١١: ٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢: ٣٠٠)، وغيرهم. «مجمع الزوائد» (١: ١٦٣)، «كشف الخفا» (١: ٣٢٥).

وهل رأيتُ فقيهاً قط؟ إنما الفقيه: الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير في دينه، المداوم علىٰ عبادة ربه.

وكان يقول: إذا اشتغل العلماء بجمع الحلال صار العوامُّ يأكلون الشُّبَه، وإذا صار العلماء يأكلون الشُّبَه صار العوام يأكلون الحرام، وإذا صار العلماء يأكلون الحرام صار العوام كفاراً.

وسئل النبي ﷺ: أي الناس شرٌّ؟ قال: «**العلماءُ إذا فسَدوا، وإذا فسَد العالِمُ يفسُدُ بفسادِه العَوامُّ**».

وقال بعض الحكماء: تعلُّم العلم في زماننا هذا تهمة، والاستماع منه مؤانسة، والقول به شهرة، والعمل به فرح النفس.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن تعلَّم العلم لأربع دخل النار: ليُباهيَ به العلماء، أو ليُماريَ به السُّفهاء، أو ليُقبِلَ وجوهُ الناس إليه، أو يأخذَ به من أموال الناس**»[1].

* * *

فإذا كان المقصود من العلم: العملَ به، فينبغي للعالم أن يعمل بعلمه ثم يعلِّم غيره لكي ينتفع ذلك الغيرُ به، ويكونَ خائفاً من الله، مطيعاً لأوامره، ممتنعاً عن نواهيه، راضياً بقضائه، مواظباً علىٰ عبادته، مظهراً لشريعةِ رسولِه، مداوماً علىٰ نشر العلم، منقطعاً عن مخالطة السلاطين،

---

(١) أصله عند الترمذي، ولفظه: «**من تعلم العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف وجوه الناس إليه، أدخله الله النار**»، ولم أقف علىٰ لفظ المتن.

محترزاً عن دنياهم، مُجتنباً عن مال الوقف، قانعاً بما قسَم الله تعالىٰ له، غيرَ طالب للزيادة، ولا جامعٍ لها، ولا طامعٍ بما في أيدي الناس، ولا مُفتخرٍ بجاهِه، ولا مُعجَبٍ بعلمه، ويكون مراقباً لأحواله، حافظاً لسائر أعضائه، صادقاً في أقواله، مستقيماً في أفعاله، عادلاً في أحكامه، مستمعاً لكلام الوَضيع والشريف، محبباً لهم باللِّين والإنصاف، غيرَ مائل إلىٰ صنف دون صنف.

ويكون ناصحاً للناس وداعياً لهم إلىٰ الطاعة، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويقضي بينهم بالحق، ويعين المظلوم، ولا يأخذ الرِّشوة، ولا يخاف من السلطان، ويقول الحق بين يديه وإن كان مرًّا، ولا يتكلّم بهواه في غير الحق، ويقضي بينه وبين خصمه بالقِسط ولا يميل إليه.

ويكون السلطان والرعيّة والغنيّ والفقير عنده سواءً في الحكم بينهم، ولا يتواضع لغني لغناه، ولا لذي جاهٍ لأجل جاهه، بل يكون تواضعه لوجه الله تعالىٰ، والكريمُ عندَه مَن هو أكرَمُ عندَ الله، ويكون محباً لأرباب الخير، محرِّضاً لهم علىٰ خيراتهم، ومبغِّضاً لأرباب الشر وناهياً لهم عن سوء أفعالهم، ويدلهم علىٰ الخيرات، ويهديهم إلىٰ سبيل الرشاد، ويحفظ عن نُوّابه وأعوانه كي لا يظلموا الناس، ويكون بابه مفتوحاً لهم، ومستفتيهِ غيرَ مردود.

ويكون ناصحاً للمتعلِّمين متواضعاً لهم، صابراً علىٰ تعليمهم ومتحمِّلاً أذاهم، ومحرضاً لهم، ومُشفقاً عليهم، وناظراً في أحوالهم، يبَرُّ في حقهم بقدر وُسعه وطاقته، ويكون تعليمه لوجه الله تعالىٰ، ولا يريد

بذلك رياءً ولا سمعة ولا رسماً ولا عادة ولا زيادةَ جاهٍ ولا حرمة، وإنما يريد نشر العلم، وتكثير الفقهاء، وتقليل الجهلة، وإظهار دين الله تعالىٰ، وإقامة سنة رسول الله ﷺ، وتشييدَ قواعد الإسلام، والفرقَ بين الحلال والحرام، ويكون مخلصاً في ذلك، وراغباً في الآخرة، وراجياً ثوابَه وخائفاً من عقابه.

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: يراد من العلم عشرةُ أشياء: الخشية، والنصيحة، والشفقة، والاحتمال، والصبر، والحلم، والتواضع، والعفة عن أموال الناس، والدوام علىٰ النظر في الكتب، وقلة الحُجّاب، وهو: أن يكون بابه مفتوحاً للوضيع والشريف، فإنه بلَغَنا أن داوود علىٰ نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام إنما ابتلي من شدة الحُجّاب. نسأل الله تعالىٰ أن يوفقنا للعمل بالعلم، وأن يجعلنا من العاملين المخلصين، المتوكلين، الصابرين، القانعين بما قسَم لنا، والراضين بما قضىٰ علينا.

* * *

قال عليه الصلاة والسلام: «نَسْمةُ المؤمن طائرٌ يطير»(١) وهو أصدق مخبر وأخبر خبير، فإياك أن تضيع عمرك الخطير في طلب الدنيا وعيشها التافه اليسير، فلا تَكَثَّرْ أهل التكاثر بالتكثير، فلو بلغت بالصدق منازل

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (برواية ابن القاسم): (٧٢)، والنسائي (٤: ١٠٨)، وابن ماجه (٤٢٧١)، وأحمد (٣: ٤٥٥) جميعهم بلفظ: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة...» الحديث، من رواية كعب بن مالك.

الأبرار الأحرار، ووقفت علىٰ بحرهم الغزير التيار، رأيت فيهم كم غوّاصٍ عبقري نحرير، يخرُج منه لؤلؤ كثير، ومَرْجانٌ ما له نظير، قال الله تعالىٰ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن:١٩-٢٠]، وقال تعالىٰ في الدنيا والراكن إليها: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦]، وفي الأخرىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت:٦٤]. فينبغي عدم الصم والوقوف في أوان الرحيل.

ألم يتضح لك السبيل، ويناديك الدليل؟ قال عليه الصلاة والسلام: «**كُنْ في الدنيا كأنّك غريبٌ أو عابرُ سبيل**»، وقال تعالىٰ في محكم التنزيل: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧]. فهذه الرغبةُ عن الآخرة وثوابها الجزيل، والدخولِ في ظلها الظليل، وجوار الملك الجليل، فارغب في الباقي وهو الآخرة، وازهد في الفاني وهو الدنيا.

* * *

وتخلّق بالخلق الحسن، ففيه عشر خصال، منها: محبة الله لصاحبه، فأعظِمْ بها من خَصلة تتضمن كل كمال:

وكلُّ الصّيدِ في جوْفِ الفِراءِ

ومحبةُ المصطفىٰ ﷺ، وإيذانُه بأن الله أراد به خيراً، وإذابةُ خطيئته كما تذيب الشمسُ الجليد، والزيادةُ في عمره، وإظلالُ الله له تحت عرشه، وإسكانُه حظيرةَ القُدس وإدناؤه من جواره، وبلوغُه درجةَ الصائم القائم، وتحريمُه علىٰ النار.

وقد أمر رسول الله ﷺ بالتخلُّق بالأخلاق الحسنة، ولقد اتصف بها ﷺ، ووصفه الله في الكتاب المُنزل علىٰ خير مرسَل عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وحمل السلف الصالح أنفسهم عليها وتحلَّوا بما قسَم الله لهم من أخلاقه الكريمة، وتخَلَّوْا عن الأخلاق الذميمة، فكلما وضع قدماً وضعوا في محل قدمه الأقدام، في الإقدام والإحجام.

* * *

والتخلق الحسن علىٰ قسمين: خاص وعام.

□ فالتخلق العام: التخلق بصفات الفعل كالرأفة والرحمة، وحسن الخلق والجود الذي هو في حق العباد سخاء، والصبر والشكر، المتضمِّنَيْن حالتي الشدة والرخاء وما أشبه ذلك من التخلق بمكارم الأخلاق.

□ وأمّا التخلّقُ الخاص: فهو التخلق بالصفات القُدسية والأسماء الإلهية، التي رياضُها بكوثر الاسم الأعظم تُسقىٰ، فكل صفة تفي[1] المتخلق بها عنه، فتوقفه علىٰ مِنَصِّ الجمْع الذي هو شهود قيام الأشياء بالله والتبري من الحول والقوة، ثم تنقله إلىٰ جمع الجمع، وهو: الاستهلاك بالكلية، والفَناء عمّا سوىٰ الله، وتبلغه مقام الجمعية، وهو: اجتماع الهم في التوجه إلىٰ الله، والاشتغال به عما سواه، فلا يزال السالك الرباني في

---

(١) هكذا في الأصل.

درجات معراج الأسماء والصفات يرقىٰ، حتىٰ يقول كما قال حارثةُ للنبي ﷺ: أصبحتُ مؤمناً حقاً(١).

❊ ❊ ❊

وإذا أردت أن تكون لقلبك ولقلب غيرك طبيب، فعليك بالمراقبة لمن هو علىٰ أنفاسك وحركاتك رقيب، وأقربُ إليك من كل قريب، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة:١٨٦]، فلعلك تحظىٰ بالسر الغريب، وتظفر بسر بهجة عمل الشباب ووقار المشيب، قال صلّىٰ الله عليه وسلم: «**من شابَ شيْبَةً في الإسلام غفر الله ذنوبه البَتَّةَ البَتَّةَ**»(٢).

❊ ❊ ❊

والفقير الصادق لا تصدر حركاته وسكناته عن غفلة ولا عبث، ولا يشكو إلىٰ غير سيّده حُزْناً ولا بث، فإن فعل ذلك فقد نكث عهده فيمن نكث. والفقير الصادق يحبه الله والرسول، ويوصله عمل الخير إلىٰ الحَرَم، وهو قلب محمد ﷺ، وهو في الحقيقة كعبة القُدْس، وحرم الأُنْس، تُجبىٰ إليه ثمرات جميع أشجار الذات الأحدية، وصفات

---

(١) قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤: ٢٢٠): أخرجه البزار من حديث أنس، والطبراني من حديث الحارث بن مالك، وكلا الحديثين ضعيف. انتهىٰ.

(٢) ورد نحوه بلفظ: «**من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة**»، أخرجه الترمذي (١٦٤٣)، والنسائي (٦: ٢٦)، وأحمد (٤: ١١٣)، وغيرهم.

الصمدانية، مَن دخلَ ذلك الحرم ـ بشرط المحبةِ والموافقة ـ كان آمناً من آفات الكونين، وكان منظور الحق في العاَلَمين.

وهكذا كلّ من كان في قلب وليّ من أولياء الله لا يزال مُحرِماً، والمُحرِم، يحرُم عليه الفسوق والعصيان والرفث. ولا يدخل مدينة علمه ﷺ مريدٌ صادق إلا مَكَث، ولا مبطلٌ إلا انثنىٰ منصرفاً وانبعث، لأنها كالكير، والكيرُ ينفي الخبيث، قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينةُ العلم وعليٌّ بابُها»(١).

* * *

فإذا كان الأمر كذلك.. فينبغي لأهل البيت النبوي التحلي بالأخلاق السَّنِية، والهممِ العلِيّة، وبذل نفوسهم في تحصيل العلوم الشرعية والأدبية، خصوصاً علومَ القرآن والسنة المحمدية، فإنهم أوْلىٰ بذلك قديماً وحديثاً:

بيتُ النبوةِ والفُتوةِ والهُدىٰ والعِلمِ في الماضي وفي المتوقعِ

ولم يزالوا رضي الله عنهم على ذلك، فإن العلوم الشريفة ما ظهرت وانتشرت إلا من عُنصرهم الشريف، فكيف لا يهتمون بها، وهذا عبد الله ابن عباس الحبرُ رضي الله عنه يقول: طلبتُ العلم، فلم أجد أكثر منه في الأنصار، فكنت آتي الرجل فأسأل عنه، فيقال لي: نائم، فأتوَسَّد ردائي ثم أضطجع حتىٰ يخرج إليَّ الظُّهر، فيقول: متىٰ كنت هنا يا ابن عمِّ رسول

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣:١٢٦)، والطبراني في «الكبير» (١١:٦٦)، وغيرهما.

الله ﷺ؟ فأقول: منذ زمن طويل، فيقول: بئسَما صنَعْت! هلاّ أعلمتني؟ فأقول: أريد أن تخرج إليَّ وقد قضيْتَ حاجتك.

وفي رواية عنه قال: وجدت أكثر حديث رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار. والله، إن كنتُ لآتي الرجل منهم فيقال: نائم، فلو شئت أن يوقظ لي، فأدَعُه حتىٰ يخرج لأستطيب بذكر حديثه. رواهما الدارمي في «مسنده».

فانظر إلىٰ حبر الأمة ومحبته للعلم، وتعظيمه أهله، ورغبته فيه! وتبعه علىٰ ذلك السلف العلَويُّ مَن تقدم منهم ومن تأخر.

فينبغي لكل إنسان ــ لا سيما المنسوبين إليه ﷺ ــ اتباعه والتحلي بالأعمال الصالحة المقرِّبة إليه ﷺ، وهم أولىٰ وأحقّ بالقرب منه ﷺ والتلقي منه، وأخذ العلم منه مشافهةً، والدخول من باب مدينته ﷺ، الذي دخل منه السلفُ الصالح والسلفُ العلويون وُرّاثُه ﷺ، وفَّقَهُم عالِمُ السرِّ والنجوىٰ، لملازمة التقوىٰ، فأقْبَلوا عليه وأقبَل عليهم، ووقفوا علىٰ الباب، ورُفع عنهم الحجاب، وصفّاهم واصطفاهم، وفتح بصائرهم، وأفرغ علىٰ قلوبهم زيت الإيمان، وملأها بأنوار علم اليقين، وأعانهم علىٰ ترك الشهوات، والحظوظ النفسانية، ونزّههم عن الأغراض، التي توجب للعبد من الله الإعراض. قال بعضهم: تركُ الشهوات: الوقوف بالباب، وفي ترك الحظوظ النفسانية رفع الحجاب.

* * *

ولقد حمل السلف المتقدم والمتأخر أنفسهم علىٰ الاتّباع الكامل قولاً وفعلاً ونيةً واعتقاداً وعادةً وعبادة، تخلقوا بالأخلاق الحميدة، والسيَر السديدة، قرنوا العلم بالعمل، وأنصفوا من أنفسهم، ولم ينتصفوا لها.

ثبَتوا علىٰ قدَمِ الرسولِ وصحْبِهِ   والتابعينَ لهم فسَلْ وتتبَّعِ
ومضَوْا علىٰ قصْدِ السبيلِ إلىٰ العلا   قدَماً علىٰ قدمٍ بجدٍّ أوْزَعِ[1]

[ذكر جملة من شيوخ المجيز]

ولم يزالوا كذلك، طبقةً بعد طبقة، إلىٰ آخر من أخذنا عنهم وانتفعنا بهم، رضي الله عنهم ونفعنا بهم، وحضرنا مجالسهم البهية ومدارسهم العلية العلَوية، وكرعنا من ماء بحورهم العذبة المأنوسة، واقتطعنا من جنىٰ لذيذ ثمار أشجارهم النضِرة الخضِرة المحروسة، منهم: العارفُ بربِّه العلي، شيخُ فتْحِنا القدوةُ علي بن محمد الحبشي، وشيخنا وشيخ شيوخنا الإنسان الكامل عيدروس بن عمر الحبشي، والعارف بالله المكاشَف أحمد بن حسن العطاس، والعلامة العارف بالله شيخنا عبد الرحمن بن محمد المشهور، وابنه علي، وشيخنا الإمام العلامة العالم المتفنن في العلوم شيخان بن محمد الحبشي، والوالد العلامة عبيد الله بن محسن، وأخوه العلامة عبد الله، والعلامة علوي بن عبد الرحمن، والوالد العلامة هادي، وخليفتهم الوالد أحمد بن عبد الرحمن، وغيرهم من معاصريهم. اللهم ٱنفعنا ببركتهم،

---

(١) من «العينية» للإمام الحداد.

واهدنا الحُسْنىٰ بحرمتهم، وأمتنا في طريقتهم، واحشرنا في زمرتهم، وبوِّئْنا بجاههم أعلىٰ المنازل، وحلِّنا بما تحلَّوْا به من الفواضل والفضائل، ولقد تأخر الخلف الآن عن السلف، وتأخرهم عنهم هو التلفُ كلُّ التلف، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

❊ ❊ ❊

قال العم العلامة، العامل الإنسان الكامل، المتفنن في العلوم، المنطوق منها والمفهوم، عمر ابن الجد القطب سقاف بن محمد:

أَبَنِيَّ دونَكمُ العلومُ ودرْسُها ... لا تَعدِلوا عنها بِعَذْلِ عواذلِ

ومنها:

مالوا عن العَلْيا وكلِّ مزيّةٍ ... عظمىٰ إلىٰ الحرصِ المَشُومِ السافلِ
ركَنُوا إلىٰ دارِ الغرورِ وغرَّهم ... فيها الغرورُ وقادَهم بحبَائلِ
فاستعذَبوا فيها العذاب وأجمعوا ... رأياً علىٰ الأمر الحقيرِ الزائلِ

إلىٰ أن قال:

فحَذارِ من نظرِ العيونِ تعشُّقاً ... لِملابسٍ ومشَارِبٍ ومآكلِ

فلو كُشف عن بصائر أهل الغفلة الحجاب، لرأوا النجباء علىٰ نجائب الأنوار، التي لا قرار لها إلا تحت ظلِّ الكلم الطيب الممتلىء بأطيب الثمار، الذي أوجدت بذرَه قدرةُ الله العزيز الجبار، فكان من ذلك البذر نفوسُ النبيِّين والمرسَلين والصدِّيقين والشهداء والصالحين المصطفَيْنَ الأخيار، فمَن ورد ماء مدْيَنِ الغَيْب، لَذهب عنه الشك والريْب، قال الله

تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾ [الحجرات: ١٣].

نبّهَنا الله من نومةِ الغفلة والوقوف والإحجام، عن قدم الصِّدق في اتّباع سيّدنا محمّد ﷺ في الإحجام والإقدام. ولقد صدق في الاتّباع السلفُ الصالح، وضعوا في محلٍّ قدمه الأقدام، في كل إقدام وإحجام، كما تقدم.

❊ ❊ ❊

وأوصيك ونفسي والإخوانَ المؤمنينَ، بمراقبة الحق في السر والإعلان، والود والنصيحة للإخوان، لنكون علىٰ الحق أعوان. قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]. ولا تلتمس الهدىٰ من غير الكتاب والسنة، فهما أبلغ حجة وأوضح بياناً، ولا تفوِّتْ حقَّ الحالِّ بسبب التفكر في الماضي والمستقبل من الزمان.

❊ ❊ ❊

ولا نزيدكم توصية في مطالعة الكتب العلوية والغزالية والشَّعْرانية ونحوها، ففيها ما يكفي ويشفي من داء الجهل، ويُلْحِق الفرع بالأصل، وفيها العلم والهدىٰ والنور، وما يقرب إلىٰ الله العزيز الغفور.

وكلها تدعونا إليه، وتدلنا عليه، تدعونا إلىٰ التخلي عن كل خلق مذموم، كالغضب في غير انتهاك محارم الله، والحقد، وعدم الصفح عن المسيء، والتحلي بالخلق الكريم كالنصيحة.

قال النبي ﷺ: «الدين النصيحة»، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولكتابه، ولنبيّه، ولأئمة المسلمينَ وعامتهم»[١].

فالنصيحة لله: صحة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، والمحبة في ذاته.

والنصيحة لكتاب الله تعالىٰ: الإيمان به والعمل بما فيه وتصحيح قراءته والإكثار من تلاوته.

والنصيحة لرسول الله ﷺ: التصديقُ بنبوته، وبذلُ الطاعة فيما أمر به ونهىٰ عنه، وإخلاص محبته حتىٰ يكون أحبَّ إلىٰ العبد من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين.

والنصيحة لأئمة المسلمين ـ وهم الذين ولآهم الله عليهم ـ: أن يطيعوهم في الحق ولا يخرجوا عليهم.

والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادُهم إلىٰ ما فيه صلاحُ دينهم ودنياهم.

* * *

وأوصيك ونفسي والمؤمنين الإخوان، بالإمعان في تقوىٰ الله الحنان المنان، وملازمتها في السر والإعلان، وتقوية الإيمان بما يوجب الزيادة والإحسان، وتلاوة القرآن بالحضور والتدبر ومجالسة الأخيار والصالحين وتفقدهم والأقارب بالإحسان، حتىٰ تحصل للمحسن دعوة منهم صالحة مقبولة، توصل إلىٰ الله في لحظة، والحذرَ كلَّ الحذر من الغفلة والسهو،

---

(١) رواه مسلم (١٩٤) من حديث تميم الداري.

قال الجنيد: لو أقبل صدِّيق علىٰ الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فاته أكثر مما ناله.

* * *

وأوصي نفسي وأخي والإخوان المؤمنين، باستشعار قُرْب الموت كما تقدم، فإن الأمر جدٌّ، والعمْرَ قصير، والوقتَ سيفٌ قاطع، فالعاقل من انتهز الفرصة، وبادر الموتَ بالأعمال الصالحة والتوبة الصادقة، وزهد في الدنيا، وطهّر قلبه من الأخلاق الرديئة، وحسّن ظنه بربه والمسلمين، ولازم التواضع والانكسار والذكر والدعاء.

* * *

وأوصيه ونفسي والعباد المؤمنين، بترك الاختيار وتفويضه إلىٰ الله تعالىٰ، وفيما روي عن الجد الحسين بن علي رضي الله عنهما أنه قيل: إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إلي من الغنىٰ، والسقم أحب إليّ من العافية، فقـال: رحم الله أبا ذر! أمّا أنا فأقول: من اتكل علىٰ حسن اختيار الله له، لم يتمنَّ أنه في غير الحالة التي اختارها الله له.

قيل: إن سبب توبة إبراهيمَ بن أدهمَ ــ في بعضِ الروايات ــ أنه اشترىٰ عبداً فقال له: ما اسمك؟ قال: ما سميْتَني، فقال له: ما شغلك؟ فقال: ما شغلتني، فقال له: ما لباسك؟ فقال: ما ألبستني، قال له: ما اختيارك؟ قال: أوَ للعبد خِيَرةٌ معَ سيّده! فهذه موعظة جليلة.

فأما قوله: «ما اسمك؟ قال: ما سميتني: فاعلم أن الاسم: ما سمّاه الله في كتاب جَبِيْنِـهِ، حيث قال النبي ﷺ: «**إذا بلَغَ الطفلُ في بطن أمّه**

مئةً وعشرينَ يوماً قال للمَلَك: اخرُجْ وانفُخْ في الصورة واكتُبْ أربعَ كلماتٍ في جبينه: رزقَه وعملَه وأجلَه وشقيٌّ أو سعيد»[١]، فما تدري ماذا سمّاك الله به؟ فالاسمُ ليس باسم أبيك وأُمّك، وقد يسمون (صالح) وهو طالح.

وأما قوله: «ما شغلك؟»، فقال: «ما شغلتني» فما شغله الله إلا بالطاعة والعبادة وترك المعاصي حيث قال في كتابه العزيز: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ . إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وأما قوله: «ما لباسك؟» قال: «ما ألبسْتَني» فليس المراد بهذا اللباسَ الظاهر من الثياب، قال الله في كتابه العزيز: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ﴾ وهو: العلم، ﴿وَرِيشًا﴾ وهو: الحياء ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الأعراف: ٢٦] وهو: امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

وأما قوله: «وما اختيارك؟» فقال: «هل للعبد خِيَرةٌ معَ سيّده؟!»: فاعلم أن الخِيَرةَ لله، واختيارَ العبد مناقض للربوبية، ومهما قاربت شيئاً من صفات الربوبية فقد عرّضت نفسك للهلاك والمقت والطرد من رحمة الله، قال الله تعالىٰ في حديث قدسي: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني في شيء منهما قصمته»[٢].

---

(١) لفظه كما في «الصحيحين»: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة . . .» الحديث: البخاري في كتاب بدْءِ الخلق (٣٢٠٨)، ومسلم أول كتاب القدر (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢: ٤١٤)، وغيره.

وفي وصية الإمام الغزالي لبعض محبيه في مجاهدة النفس: «من أراد أن يُخرج محبة الدنيا من قلبه فليجاهد نفسَه، ولا يعذّبْ نفسَه، إلا صدِّيقاً أبىٰ الله أن يُحييَ نفساً حتىٰ يميتَها ويطبخها طبخاً ويضربها بالاختيار ضرباً وجيعاً، وتصحيح ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]، أي: ابتليناك ابتلاءً حتىٰ خرجْتَ نقيّاً صافياً».

* * *

واعلم انك لو تشفعت إلىٰ نفسك بكل شفيع لم تجبك حتىٰ تتشفع إليها بالجوع، فإنّ الجوع يُصفّي الفؤاد، ويميت الهوىٰ، ويورث العلم الدقيق، قال بعضهم: من غلب بطنَه غالب نفسه، فالفطامَ الفطامَ قبل تصرُّم الأيام ونزول الحِمَام.

* * *

والعبودية في الأصل شيئان: الرضا بما يفعل مولاك بالقلب، وفعلُ ما يرضاه مولاك بالجوارح.

والوصول إلىٰ هذه بشيئين: الجهد الدائم، والصبر اللازم. وسبب ذلك منعُ النفس عما تهوىٰ، وحمْلُها علىٰ ما تكره، كما قال تعالىٰ لداؤود علىٰ نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام: «عادِ نفسَك وتقرّبْ إليَّ بعداوتها، فإن مِلتَ إلىٰ الدنيا أخرجتُ محبتي من قلبك يا داؤود، لكل شيء عوضٌ إلاّ منّي، مَن ذهبتُ عنه فقد خسر أعظم الخسران».

وقال تعالىٰ لموسىٰ علىٰ نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام: «ذمّ

نفسَك، فهي أولىٰ بالذم»، فقال: يا ربّ، متىٰ لا أتوب لنفسي؟ فقال: «إذا نسيتها».

وقال الشبلي: اعتزلت عن الناس عشر سنين حتىٰ خرجَتْ محبتهم من قلبي، ومنعت الطعام علىٰ نفسي عشر سنين حتىٰ صار الجوع والشِّبَع عندي سواء، وكحلت عيني بالملحِ عشر سنين حتىٰ قدَرْت علىٰ ترك النوم.

وقال أبو محمد بن نهاري: صحبت سهل بن عبد الله في البادية، فمكثنا ثلاثة أيام لم نطعم طعاماً، فأول يوم قلت له: يا أستاذ، أريد شيئاً من القوت، قال: يا بني، القوت عند الله. وفي اليوم الثاني قلت: يا أستاذ، لا بد من الطعام! قال: يا بني، لا بد من الله. وفي اليوم الثالث قلت: يا أستاذ، لاتقوم هذه الأجساد إلا بالطعام، فقال: يا بني، لا تقوم الأجساد إلاّ بالله.

وقال مَمْشَادٌ الدينوري: مَن أعرض عن قلبه ابتلاه الله بنفسه، ومن ابتلاه بنفسِه لم يسلَم من متابعة الهوىٰ، وكانت النار له مأوىٰ، وأعرض الله عنه، ومن أعرض عنه لم يجد له عوضاً.

وسئل الشبلي: بِم حُجِبنا عن الرب؟ قال: بنفْسٍ ملْءَ الجَسَد.

وقال سهل: يقول الله تعالىٰ: «يا ابن آدم، إنما لعنتُ إبليس وأقصَيْتُه من أجلك فاتبعتَهُ وعصيْتَني! أيحسُنُ هذا؟»، هذا الجمالُ لا جمَالُ خَيْـبَر.

* * *

جاهَدوا النفس وإبليس، فنالوا المقام النفيس، والقرْبَ إلىٰ الله

والرسول، قرّبهم فصاروا أحباءَه وأولياءَه، ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤]، بلغوا المقام العالي، والولاية الكبرىٰ، ومقام الكَنْزيّة، والرتب العوالي، منها: الطَّيُّ وفوقَ الطي، فإنّ من الأولياء من يطير فيقف بعرفات، ومنهم من يخطو خطوة وهو أعلىٰ درجة من الطائر، ومنهم من يهُمّ فإذا هو بالموضع الذي هَمَّ فيه، وهو أعلىٰ من الخطوة، ومنهم من جمع الله له الأرض فإذا هي بين يديه، وهو أعلىٰ من الكل، ومنهم: جدك الفخر الشيخ أبو بكر، فإنه يقول: الدنيا كالقصعة.

فرَّغوا نفوسَهم وجرَّعوها لله تعالىٰ، واجتهدوا غاية الاجتهاد، فنالوا المراد وفوق المراد.

ورد عن كعب الأحبار أنه قال: إني لأجدُ قوماً في هذه الأمة المحمدية بمنزلة الحواريِّينَ: علىٰ قلوبهم نور، وعلىٰ أفواههم نور، تنطق ألسنتهم بنور الحكمة، تتعجب الملائكة من اجتهادهم، قيل: من أولئك يا أبا إسحاق؟ قال: قوم جوّعوا أنفسهم لله، وظمّأوها فيما عند الله، ينادَوْنَ يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة: ألا، فلْيقُم أهل الجوع والظمأ في دار الدنيا، فيُلتقطون من بين الصفوف، فيُؤتىٰ بهم إلىٰ مائدة منصوبة لم يرَ الرّاءونَ ولم يسمع السامعون بمثلها، فيجلسون عليها والناس في الحساب، قال الله العزيز الغفار: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨].

دخل بعض الأعراب علىٰ النبي ﷺ وعنده أصحابه، فقال: يا رسول الله، إني أحبك، ولكن أنت تكون في أعلىٰ الجنة، وفي أيِّ جنة أكون؟ فقال: «**إذا حفِظت العينَ عن النظر إلىٰ المحرّمات، والنظر إلىٰ الخلق**

بعينِ الاحتقار، والقلبَ عن الغِلِّ والحسَد، واللسانَ عن الكذبِ والغِيبة، كنتَ في الجنة التي أنا فيها».

حفظُوا الأنْفاس والأعضاء السبعة، فرَّغوا لسانَهم للذكر، وقلوبهم للسكر، وأبدانهم لترك النهي وامتثال الأمر.

❊ ❊ ❊

والفقيرُ عزّ عليه مطلبُكَ، وصعُبت عليه إجابتُكَ، وبقيتُ أقدِّمُ رجلاً وأؤخر أخرىٰ، فقدَّمْتُ، فغلب مرادُكَ علىٰ حسب اعتقادك، فأقدمتُ علىٰ ما عنه أحجمتُ، مستعيناً بالله ثم الرسول، والسلف الفحول، وبالفخر إمام الأصفياء، ومقدام الأولياء، الشيخ أبي بكر بن سالم، فأوصيْتُ بما أوصيتُ، وأجزتك فيما صحّت لي فيه الإجازة من مشايخي السادة الأشراف، والمشايخ العُرَّاف، أهل العلم والعمل والحلم والإنصاف، الحضارمة وغيرهم، نفعني الله بهم، بكل ما لديَّ منهم، من سماع من لفظ شيخ تحديثاً أو إملاءً أو عرضاً بقراءتي عليه أو قراءة غيري مع سماعي، وبكل ما أجازوني به إجازة خاصة أو عام أو خاص، وفي حزوب السلف وصلواتهم علىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وآله، وغير ذلك.

والحمد لله، سندُنا وسندكم بالعلويين متصلٌ ومحفوظ، ومثبت في مصنفاتهم، مثل: «الكنز» و«مجموع الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر»، و«عقد اليواقيت» للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، فهم الأصول في الطِّين والدين.

وأصولُنا وشيوخُنا من سادةٍ علَويـةٍ نـبَويّـةٍ فاسـمَعْ وعِ

أجزتك فيما ذكرتُ، والولدَ محمد، وأولادَكَ الموجودين ومن سيوجد، وأذنتُ لك أن تجيز عَـنّي، وأسأل منك أن لا تنساني من صالح دعَواتك، في خلَواتك وجلَواتك، لأفوزَ بالسعادة الأبدية، وأحوز السيادة السـرمديـة، وأن تجعلنـي وأولادي وإخوانـي وأتباعـي والمحبيـن، من المحسوبين عليك والمنسوبين إليك.

❋ ❋ ❋

وأنت أيها الأخ النبيل، ذا[1] المجد الأثيل، جَبَلَك الله منذ نشأت تدْأبُ علىٰ طلب العلوم النافعة، الشافعة الرافعة، وطلب المعالي، ومصاحبة علماء العصر والأخذ عنهم، مع الأدب معهم، وخدمتهم، والفناء فيهم، وقطفت من ثمارهم أعلىٰ وأحلىٰ ثمر، وأخرجت من بحورهم الغزيرة نفائس الدرر، وصحبناك علىٰ ذلك في الحضر والسفر، وفي الكبر والصغر.

نسأل الله أن يؤكد الصحبة، ويقوّي عَقْدها ويثبّته، ويجمعنا جميعاً ومن تعلّق بنا في أعلىٰ فراديس الجنان، مع التمتع بلَذّة النظر إلىٰ الرحيم الرحمن، ومجاورة سيد ولد عدنان، والفقيه والعيدروس والشيخ أبي بكر ابن سالم، وجميع السلف العلويين، جعلنا الله، بجاه الرسول، والسلف الفحول، المدني، والتريمي، والسيئوني، والحضرمي، من المتحابّين في الله، والمتناصحين لله، ومن أهل الرحمة العامة، لله فقط.

---

(١) في الأصل: ذو.

ونسأله أن يجعلنا ملازمين لها، ولتصحيح النية في الأقوال والأفعال، والحفظ من الركون إلىٰ المدح والثناء، فإنه محبط للعمل، وكُلُّ ما فعَلَ الإنسان من خير، إذا صح وسَلِمَ من الآفات المحبطة فإنه مِنّة مِنَ الله عليه كما ذكر في [قصة] عبادة العبد المتعبِّد في الجزيرة، السنين الكثيرة. اللهم إن قلوبنا وجوارحنا بيدك، لم تملِّكنا منها شيئاً، فإذا فعلت ذلك بهما فكن أنت وليهما.

* * *

هذا ما حصل مع شغل قلب وبال، بما حل بالوادي من تنكر الحال، وتغيير ما عليه السلف أهل وادي الأحقاف، من سادةٍ أشراف، ومشايخ عُرّاف، من أخلاق حميدة، وسيَرٍ سديدة، الله يحفظه من مكائد أهل الزمان، ويردُّه كما كان وأحسنَ مما كان، توجهوا إلىٰ الله بهمتكم ووجهتكم، وبالسلف المدني والتريمي وأهلها، وجدكم الشيخ أبي بكر بن سالم.

بجدّكم وبكم تَنجاب سُحب البليّات والضرّ

من هذا القطر وكل قطرٍ إسلاميّ.

* * *

اللهم إنّا نسألك أن تثبت أفئدتنا وتشفينا، ظاهراً وباطناً، من البلايا وكل ما بنا وفينا، ونسأل الله العفو والعافية والمعافاة الدائمة، في الدين والدنيا والآخرة.

اللهم إنّا نسألك فواتح الخير وجوامعه وكوامله، وأوله وآخره،

وظاهره وباطنه، والدرجات العلية في الجنة، مع خير البشر، سيّدنا محمد وآله وصحبه الميامين الغرر، وأنت راضٍ غير غضبان، يا حنان يا منان، وصلىٰ الله وسلم علىٰ خير العباد، سيّدنا محمد المحمود يوم التناد، وآله وصحبه الأمجاد، المجاهدين معه حق الجهاد، والتابعين بإحسان إلىٰ يوم المعاد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

قال ذلك أسيرُ الأحزان، الفقيرُ إلىٰ عفوِ الله الرّحيمِ الرحمٰن
محمدُ بنُ هادي بن حسَن بن عبد الرحمٰن السقاف
لطَفَ اللهُ به في الدّارَيْن، آمين
حُرّر في ربيعِ الثاني عامَ ١٣٧٢هـ

❑ ❑ ❑

الإجازة الرّابعة

من الحبيب محمد بن هادي السقاف

للسيد علوي بن عبّاس المالكي

ترجمة
السيّد عَلَوي بن عباس المالكي
(١٣٢٧ ـ ١٣٩١هـ)

الحَبْرُ المفرَدُ في زمانِه، والمجلِّي في ميدان العلوم مِن بينِ سائرِ أقرانِه، عالمُ مكّةَ ونِحْرِيرُها، والفردُ الذي يَعترِفُ له بالفضل مأمورُها وأميرُها: عَلوي بن عبّاس بن عبد العزيز بن عباس المالكي، الحَسني الإدريسي، المكي.

ولد بمكةَ المكرَّمة حوالي سنةِ ١٣٢٧هـ، وتربىٰ بأبيه العلاّمة السيّد عبّاس، وأخذ عنه أخذاً تاماً، كما أخذَ عن غيره، كالشريفِ أحمدَ السنوسي، والسيدِ زكيّ البرزنجي، والشيخ عمرَ حمدانَ المَحْرَسِي، والمعمر عبد الباقي الهندي، والسيد عبد الحي الكتاني، وغيرهم من علماء مكةَ والحجاز.

كان السيدُ علويٌّ إماماً شهيراً، وعلامةً خبيراً، وقعَ على علمِه الإجماع، واشتهر صيتُه في كلِّ الآفاقِ وذاع، وقصدَه الناسُ من كل صَوْبٍ للنفع والانتفاع.

أجازَني في بيتِه بمكةَ المكرَّمةِ عندما زرتُه لما حَجَجْتُ حجةَ الإسلام سنةَ ١٣٨٦هـ، ثم أجازني مرةً أخرىٰ في بيتِه لما حجَجْتُ ثاني حجة سنةَ ١٣٨٧هـ، وكان قد سبق منه أن أهدىٰ لي مجموعةً من الكتبِ الدينيةِ من

مؤلفاتِه وغيرِها، بواسطةِ شيخِنا العلامةِ فضْلِ بن محمد بن عوض بافَضْل، وكتبَ علىٰ كل كتابٍ اسمي بيدِه، منها: الجزءُ الأول من كتاب «إبانة الأحكام شرح بلوغ المرام»، والجزء الأول من «نيل المرام شرح عمدة الأحكام».

وفي تلك السنة ــ أي: سنة ١٣٨٧هـ ــ حضرتُ مجلسَه في مكةَ عند شيخِنا الحبيب عمرَ بن أحمدَ بن سُمَيط، في بيت المطوِّف عمر سراج ولي، وقد طلب سيدي عَلَوي من الحبيبِ عمرَ الإجازةَ، فأجازَ جميعَ الحاضرين، وألقمَهم الحلوىٰ.

والسيدُ علوي أشهرُ من أن يُشهَر. توفي بمكّةَ المكرَّمةِ فجأةً في شهر ربيعِ الأول، سنةَ ١٣٩١هـ.

❑ ❑ ❑

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي رفع حجاب الغفلة عن بصائر أوليائه، وهداهم أقومَ طريقٍ بنور اصطفائه، وشنَّف لهم كأس الفهم، من بحور غرائب العلم، وسقاهم من صافي خندريس المحبة واليقين، ما حسم به من باطنهم مادة الشَّك والرَّيْن، وأمطر عليهم من سحائب الإمداد، ما ظهر عليه من بشرىٰ الظفر بالمراد، وجعلهم دعاةً إلىٰ السبيل الأقوم، نيابة عن سيدنا محمد ﷺ الرسول الأعظم، المبعوث إلىٰ كافة الخلق العرب والعجم، صلّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

وممن دعته مثلهم للخير الأقدار، ورعته العناية في السرّ والإجهار، وحرّكته للدعوة إلىٰ الله والتعلم والتعليم، نيابة عن الله وسيدنا محمد ﷺ الرؤوف الرحيم، الرسول الكريم، وعن السلف القادة الفحول، أهل العلم والحلم والمعقول والمنقول، الأخُ الوفي المنور الصفي، ذو النفس الأبية الشريفة، الراغب في الرتب العلية المنيفة، أحد العلماء العاملين، وسراج الملّة والسنة والدين، الجاني من رياض فنون العلوم، الحامل لواء المنطوق منها والمفهوم، مَن خاض من بحور العلوم لُجَجَها، وظهر في الحرم المكي عَلَماً علىٰ ثَبَجِها، فهو حقيق بقول القائل:

بحْرُ الرسوخِ الذي تَعْنُو الشيوخُ لهُ   فلا يقالُ ــ إذا ما قال ــ: قد قالوا
فدار نَقّاد[١] أبياتِ العلومِ معاً   فهم إليه إذا ما أُعضِلوا آلُوا

العلَمُ الأشهر، والنجمُ الأزهر، ذو الفواضل والفضائل المنشورة، والنيات الحسنة، والمقاصد الجليلة المبرورة، أدام الله توفيقه، وقرن بالصلاح والسداد طريقه: علويُّ بنُ عباس المالكيُّ المكيّ، عامله الله بلطفه الخفيّ، وأجراه علىٰ عوايد بِرِّه الحَفيّ، وسلك بنا وبه مسالك الهداية والرعاية والعناية، وخصّنا بأوفر نصيب من المعارف الصمَدية، والعلوم المحمّدية، والأسرار السلفية العلوية، وجعلنا من خواصّ المحبِّين لله، الصادقين في محبة الله.

ولما بلغنا عَنْه التحلي بحميد الخصال، التي أعلاها: الأخلاق الرضية، والسِّير المرضية، والسريرةُ المنوَّرة بالأنوار الأحدية والعلوم الصمدية، والنيابة عن السلف في العلوم السلفية والعلوية، وفي نشر الدعوة إلىٰ الله باللسان والجَنان، وسائر الأركان، وذلك دليل الفتح المطلق، والقرب من الله الرحيم الرحمن، وحبيبه سيدنا محمد ﷺ سيد الأنس والجان، لا زال في عزٍّ محروسةً بالطاعة جوانبُه، عاليةً في المقاعد العندية مراتبُه.

وحسَّنَ ظنَّه بالفقير، الذي ليس هو في العير ولا في النفير، وسأل منه الوصية والإجازة، فأجبته لعزته عندي، وأسعفته بمراده، علىٰ حسب اعتقاده، معَ علمي أني لست أهلاً أن أجاز فضلاً عن أن أجيز، وفاقد النِّصاب كيف يزكِّي؟ والفقيرُ من أين يعطي؟ وفاقد الثوب كيف يسترُ غيرَه؟ ومَن لا يتعظ كيف يعظ؟

---

(١) الأصل غير واضح هنا، فكتبنا الكلمتين بما يشابه الرسم ويصحُّ به الوزن.

أوحىٰ الله إلىٰ روحه عيسىٰ علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام: «ابنَ مريم، عِظْ نفسَك، فإنِ اتعَظْتَ فعِظِ الناس، وإلا فاستحي مني».

* * *

ولما تكرر طلبه، وعزَّ علىٰ الفقير امتثال مطلبه، ولم يمكن إلا إسعافه بما رام، أسرع إلىٰ إجابته؛ راجياً صالح دعوته، متمثلاً بقول القائل:

ما كنتُ أهلاً، فهم رأوْني لذاك أهلاً، فصرت أهلا

سائلاً من الله حسن النيّة والتوفيق، لسلوك أحسن المسالك، فإنه ولي ذلك، والقادر علىٰ ما هنالك، فقال مستعيناً بالفتاح العليم، متوسلاً بالرسول الرؤوف الرحيم:

عليك بالتخلق بخُلُق الله العام والخاص.

□ فالأول: التخلق بصفات الفعل، كالرأفة والرحمة والجود، وهو في حق العباد: السخاء، والشكر، والصبر، ونحو ذاك من مكارم الأخلاق.

□ والثاني: التخلق بالصفات القدسية والأسماء الإلهية، التي رياضها بكوثر الاسم الأعظم تُسْقىٰ، فكل صفةٍ تغني المتخلِّقَ بها عنه، فتوقفه علىٰ منصِّ الجمع، الذي هو شهود قيام الأشياء بالله، والتبري من الحول والقوة، ثم تنقله إلىٰ جمْع الجمْعِ، وهو: الاستهلاك بالكلية، والفناء عما سوىٰ الله، وتبلغُه مقام الجمْعيّة وهي: اجتماعُ الهمِّ في التوجه إلىٰ الله، والاشتغال به عما سواه، فلا يزال السالك الرباني في درجات معراج الأسماء

والصفـات يرقىٰ، حتىٰ يقول كما قال حارثـةُ للنبيّ ﷺ: أصبحتُ مؤمنـاً حقـاً[١].

❊ ❊ ❊

ولا حاجة إلىٰ إطلاق عنان المقال في هذا المجال، فما في كتب العلماء المتقدمين من العلوية والغزالية والشعرانية وغيرهم يكفي ويشفي من داء الجهل، ويُلحق الفرع بالأصل، ففيها العلم والهدىٰ والنور، وما يقرِّب إلىٰ الله العزيز الغفور، وكلها تدعونا إليه، وتدلنا عليه.

تدعو إلىٰ التخلي عن كل خلُق ذميم، كالغضب في غير انتهاك محارم الله، والحقْد، وعدم الصفح عن المسيء.

والتحلي بالخلق الكريم، كالنصيحة، قال النبي ﷺ: «**الدين النصيحة**» قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله، ولكتابه، ولنبيّه، ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[٢]، فالنصيحة لله: صحة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، وصدق المحبة في ذاته. والنصيحة لكتاب الله تعالىٰ: الإيمان به والعمل بما فيه، وتصحيح قراءته، والإكثار من تلاوته. والنصيحة لرسول الله ﷺ: التصديق بنبوته، وبذل الطاعة فيما أمر به ونهىٰ عنه، وإخلاص محبته، حتىٰ يكون أحبَّ إلىٰ العبد من نفسه وولده ووالده وماله

---

(١) قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤: ٢٢٠): (أخرجه البزّار من حديث أنس، والطبراني من حديث الحارث بن مالك، وكلا الحديثين ضعيف). انتهىٰ.

(٢) تقدم تخريجه.

والناس أجمعين، والنصيحةُ لأئمة المسلمين ــ وهم الذين ولأَهم الله عليهم ــ: أن يطيعوهم في الحق ولا يخرجوا عليهم. والنصيحة لعامة المسلمين: إرشادهم إلىٰ ما فيه صلاح دينهم ودنياهم.

❊ ❊ ❊

وكالدعاء الذي هو مخ العبادة، ولقد ذكر السيد الحسيني ابن عنقاء دعاءً علمه جبريل عليه السلام سيدنا محمداً ﷺ، قال: روي أنه جاء جبريل عليه السلام إلىٰ النبي ﷺ في أحسن صورة، لم ينزل عليه في مثلها، ضاحكاً مستبشراً بهذا الدعاء، فقال: السلام عليك يا محمد، قال: «وعليك السلام يا جبريل»، فقال: إن الله تبارك وتعالىٰ بعثني إليك بهدية، فقال: «وما تلك الهدية يا جبريل؟» قال: كلمات من كنوز العرش أكرمك الله بهن، فقال: «وما هنّ يا جبريل؟» قال: (قل: يا مَن أظهر الجميل وستر القبيح، يا مَن لا يؤاخذ بالجريرة ولا يهتك الستر، يا عظيم العفو، يا حسن التجاوز، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، يا صاحب كل نجوىٰ، ويا منتهىٰ كل شكوىٰ، يا كريم الصفح، يا عظيم المن، يا مبتدي بالنعم قبل استحقاقها، يا ربنا ويا سيدنا، ويا غاية رغباتنا، أسألك يا الله أن لا تشوه خلقي بالنار)، قال رسول الله ﷺ: «يا جبريل، فما ثواب هؤلاء الكلمات؟» قال: هيهات هيهات، لو اجتمع ملائكة سبع سموات وسبع أرضين علىٰ أن يصفوا جزاء ذلك ما قدروا. قال جبريل عليه السلام: إذا قال: (يا مَنْ أظهر الجميل وستر القبيح، ستره الله برحمته في الدنيا والآخرة، وإذا قال: يا مَن لا يُؤاخِذُ بالجريرة، ولا يهتك الستر، لم يحاسبه الله يوم القيامة، ولم يهتك ستره يوم يهتك الستور، وإذا قال: يا عظيم العفْو، غفر

الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر، وإذا قال: يا حسن التجاوز، تجاوز الله عنه، وإذا قال: يا واسع المغفرة، فتح الله له سبعين باباً من الرحمة، فهو يخوض في رحمة الله حتىٰ يخرج من الدنيا، وإذا قال: يا باسط اليدين بالرحمة، يبسط الله عليه يديه، وإذا قال: يا صاحب كل نجوىٰ، ومنتهىٰ كل شكوىٰ، أثابه الله كثيراً(١).

* * *

وكالعلم، ففي الأثر: مَن غرس العلم اجتنىٰ النباهة، ومَن غرس الزهد اجتنىٰ العز، ومَن غرس الإحسان اجتنىٰ المحبة، ومَن غرس الفكرة اجتنىٰ الحكمة، ومَن غرس الوفاء اجتنىٰ المهابة، ومَن غرس المداراة اجتنىٰ السلامة، ومَن غرس الكِبْر اجتنىٰ المقْتَ، ومَن غرس الحرْصَ اجتنىٰ الذُّلَّ، ومَن غرس الطمَعَ اجتنىٰ الخزْيَ، ومَن غرس الحسد اجتنىٰ الكمد.

قال بعضهم: الأممُ علىٰ اختلاف أديانها وأزمانها وبلدانها متفقة علىٰ حَمْد أخلاق أربعةٍ: العلم؛ والزهد، والإحسان، والأمانة.

ومن المحمود: حسنُ الخلق، وفيه فوائد، منها: محبة الله لصاحبه، فأعظم بها من خصلة تتضمن كل كمال.

وكلُّ الصَّيدِ في جوفِ الفراءِ

ومحبةُ المصطفىٰ ﷺ وإيذانه بأن الله أراد به خيراً، وإذابةُ خطيئته كما

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١ :٥٤٤)، والعقيلي في «الضعفاء»، ونقل سنده الذهبي في «الميزان» (٢٩٠٨). صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

تذيب الشمس الجليد، والزيادةُ في عمره، وإظلالُ الله له تحت عرشه، وإسكانُه حظيرة القدس، وإدناؤُه من جواره، وبلوغُه درجة الصائم القائم، وتحريمُه علىٰ النار. هكذا جاء مفرقاً في عدّة أخبار.

* * *

ومنه: الزهد في الدنيا الدنيّة، الصادة عن المقامات العلية. حكي عن بعض علماء إسرائيل أنه جمع سبعين صندوقاً من العلم، فأوحىٰ الله إلىٰ نبي ذلك الزمان: «أنْ قل للعالم: لا تنفعك هذه العلوم وإن جمعت مثلها أضعافاً مضاعفة، ما دام معك ثلاثُ خصال: حب الدنيا، ومساعدة النفس علىٰ ما تهوىٰ والشيطان، وأذيّة مسلم».

فهذه الأشياء التي ذكرها في عتاب العالم الإسرائيلي توُقعُ الإنسان في ورطة انتقام الله وغضبه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

خرج النبي ﷺ علىٰ أصحابه فقال: «**رأيتُ الليلةَ عجباً، رأيت رجالاً يُعلَّقون بألسنتهم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يرمُونَ المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا**»، قال بعضهم: بغير جناية منهم يستحقون الأذية بها.

وفي الحديث: «**المسلم مَن سَلِمَ المسلمونَ من لسانِه ويده**»(١) المعنىٰ: المسلم مَن سلم المسلمون من أذيته بالقول والفعل، فمعنىٰ

---

(١) متفق عليه؛ البخاري في الرقاق (٦٤٨٤)، ومسلم في الإيمان (١٦١).

باللسان: الأذية بالقول، واليد: الأذية بالفعل، وخصّ اليد لأن معظم الأفعال تكون بها، وقدم اللسان لأنها أسرع وقوعاً.

وينبغي للمؤمن إذا أوذي أن لا يتأذىٰ، بل يصبر، فإن له بذلك الأجرَ، فالمؤذي في الحقيقة لا يسعىٰ إلا في إيصال الأجر إلىٰ من آذىٰ، ولذا ورد: «وأحسن إلىٰ مَن أساء إليك»، فالمسيء وإن كان في الشريعة مسيئاً، لكنه في الحقيقة محسن، ولذا قال فضيل: ما ظلمني في الدنيا أحد.

* * *

وأوصيك بتقوىٰ الله في السرّ والعلن، وترك الإثم ما ظهر منه وما بطن، وطلب مرضاة الله علىٰ الدوام، وذلك في طاعة الله، وهي في اتباع رسوله عليه الصلاة والسلام، وطاعتُه ﷺ في متابعة السلف الكرام، فإنهم ما طـرَحَ قـدماً إلا طرحـوا في محله الأقـدام، في الإقـدام والإحـجـام، وتحققوا بما دعاهم إليه بقوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ﴾ [الذاريات: ٥٦] الآية.

وفي «التوراة»: يا ابن آدم، خلقتك لعبادتي فلا تلعبْ، وتكفّلت برزقك فلا تتعبْ، وفي أكثر منه فلا تطمع، ومِنْ أقلَّ منه فلا تجْزَع، فإن أنت رضيتَ بما قسمْتُه لكَ أرحتُ قلبك وبدنك، وكنْتَ عندي ممدوحاً، وإن كنت لم ترضَ به، فوعزَّتي وجلالي لأسلطنَّ عليك الدنيا، تركض فيها ركْضَ الوحش في البر، ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك، وكنتَ عندي مذموماً. يا ابن آدم، خلقت لك السموات والأرضين ولم أعْيَ بخلقهنّ، أيُعييني رغيفٌ أسوقُه إليك من غير تعب؟ يا ابن آدم، أنا لكَ محبّ،

فبحبِّي لك كن لي محباً. يا ابن آدم، لا تطالبني برزق غدٍ، فإني لا أطلبكَ بعمل غد، إني لم أنسَ من عصاني فكيف مَن أطاعني؟».

❊ ❊ ❊

وينبغي للإنسان أن يشكر الله، فإن لله في كل لحظة ودقيقة ـ فضلاً عما فوق ذلك ـ نعمةً، ومِن شكر النعم أن يشكر الواسطة، وأعظم واسطةٍ سيدنا محمد ﷺ، فإنه ما وصل لنا خير دنيا وآخرة إلا بواسطته، ولولاه ما صلّىٰ مَن صلّىٰ، ولا صامَ مَن صام، ولا حج من حج، ولا اعتمر مَن اعتمر، ولا عبَدَ عابدٌ لله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ﴾ [آل عمران: ١٠٣] الآية. «وإنكم لتتهافتون»، الحديث.

وشكر الله في محبته عليه الصلاة والسلام، وعلامتها: اتباعه في القول، والفعل، والعمل، والنية، والعادة، والعبادة، ومن بعده شكْرُ الأشياخ.

ومن ذلك: شكْرُ كلِّ من صنع معروفاً أوصَلَه إليك، فإنّ من لم يشكر الواسطة تعرض لحرمانِ كثيرٍ من نعم الله.

قال السَّري قدس الله سره ونفعنا به: الشكر علىٰ ثلاثة أوجه: شكر القلب، وشكر البدن، وشكر اللسان. فشكر القلب: أن يعرف العبد أن النعم كلها من الله تعالىٰ، وشكر البدن: أن لا يستعمل جارحة من جوارحه إلا في طاعة الله، وشكر اللسان: دوام الحمْدِ لله.

❊ ❊ ❊

وعلامة المقبل علىٰ الله ثلاثة أشياء:

الأول: أن يتفكر العبد في نعم الله وفي الآخرة، فإنها الباقية، فيجتهد في الطاعة. قال الله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ [الإسراء: ١٩] الآية.

الثاني: أن يجعل لسانه رطباً بالذكر والحمد والشكر.

والثالث: أن يجعل بدنه مشغولاً بالخدمة في سبيل الله بلا فتور إلىٰ الممات.

مرَّ عيسىٰ عليه السلام بغنيٍّ، فأخذ بيده وذهب به إلىٰ فقير، فقال: هذا أخوك في الإسلام، وقد فضّلك الله بالسعة، فاشكر الله علىٰ ذلك، ثم أخذ بيد الفقير وذهب به إلىٰ مريضٍ، فقال: إن كنت فقيراً فلست بمريض، فما تصنع لو كنت فقيراً ومريضاً؟ فاشكر الله، ثم ذهب بالمريض إلىٰ كافر فقير مريض، فقال: ما تصنع لو كنت فقيراً مريضاً كافراً؟ فاشكر الله، فهداهم إلىٰ الشكر بطريق المشاهدة.

* * *

وينبغي للإنسان أن يداوم علىٰ قراءة القرآن، ويجعل له حزباً منه مرتباً، فإن التالي للقرآن جليسُ الله، وعلىٰ الصلاة علىٰ النبيِّ ﷺ.

وفيها فوائد كثيرة، منها: ما قال الصديق الأكبر رضي الله عنه: (الصلاة عليه ﷺ أمحَقُ للذنوب من الماء البارد للنار)، وهي أفضل من عتق الرقاب؛ لأن عتق الرقاب في مقابلة العتق من النار ودخول الجنة، والصلاة والسلام عليه في مقابلة صلاة الحق تعالىٰ وسلامه، وذلك أفضل من ألف حسنة بل آلاف. وقال النبيُّ ﷺ: «**إن لله مَلَكاً أعطاه سمْع الخلائق، وهو قائم علىٰ**

قبري مُذْ متُّ إلىٰ يوم القيامة، فليس أحد من أمتي يصلي عليّ صلاة إلا سماهُ باسمِه واسم أبيه، وقال: يا محمد، صلّىٰ عليك فلانُ ابن كذا وكذا، ويصلي الله علىٰ ذلك المصلِّي بكل واحدة عشراً»، الحديث بمعناه[١].

وينبغي الحضورُ وجمْعُ الخاطر حال الصلاة عليه، واستشعار عظمته ﷺ. وفي الحديث: «إذا صليتم عليّ فأحسنوا عليّ الصلاة، فإنكم تعرضون عليّ بأسمائكم وأسماء آبائكم وعشائركم»[٢]. وبقدر الصلاة عليه تحصل المعرفة بينه ﷺ وبين المصلّي، وعلامة المصلّي يوم القيامة أن تكون لسانه بيضاء، والتارك للصلاة عليه تكون لسانه سوداء.

وهو ﷺ ينتفع بالصلاة عليه، وتزيد مرتبته عند الله؛ لأنّ ما مِن كمالٍ إلا وعند الله ما هو أكمَلُ منه، وتزيد بذلك مرتبةُ الأمة؛ لأن مرتبة التابع تابعةٌ لمرتبة المتبوع، ولكنّ الأدبَ أن لا يرىٰ العبد ذلك، بل يقصد التقرب بالصلاة عليه ﷺ، وانتفاعه هو بثوابها، فالمنة له ﷺ علينا لا لنا. والصلاة عليه ﷺ هي علامة علىٰ محبته ﷺ، فإنّ مَن أحبّ شيئاً أكثر من ذكره.

وعن سهل التستري رضي الله عنه: الصلاة علىٰ سيدنا محمد ﷺ أفضل العبادات؛ لأن الله تولاها بنفسه وملائكته ثم أمر بها المؤمنين، قال

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٤: ٢٥٤) برقم (١٤٢٥). وفيه رجلٌ ضعيف، وبقية رجاله رجال الصحيح. «مجمع الزوائد» (١٠: ١٦٢). ويُنظر: «القول البديع» للسخاوي ص٢٤٦-٢٤٧.

(٢) أخرجه الديلمي كما في «كنز العمال» (٢١٩٣). وينظر: «القول البديع» للسخاوي ص١٢٦.

تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ [الأحزاب:٥٦] الآية، والعباداتُ غيرَها أمَرَ بِها ولم يفعلها، فينبغي الإكثار منها، فإن المكثر منها أقرب الناس منزلاً منه ﷺ يومَ القيامة، كما ورد في الحديث.

وأقلُّ الإكثار ثلاثمئة مرة ولو في العمر مرة. وتكفي الصلاةُ بأي صيغةٍ كانت، والأفضل: الصلاة الإبراهيمية.

❋ ❋ ❋

وكذا ينبغي الاستكثار من الاستغفار، وأقله أيضاً ثلاثمئة، وخلق الله ملكاً اسمه الاستغفار، يحضر لنصر المكثرين منه ويخلّصهم من الشدائد، فلا أنفع اليوم في هذا الزمان المعكوس المنكوس منهما، ومن الصدقة، ولا يُبطِلُ ثوابَ السرورِ بالصدقة والصلاةِ علىٰ النبي ﷺ الرياءُ. قال بعضهم:

إن الثوابَ لسُرورِ الصّدَقهْ   ليسَ الريا يُبطِلُه فحقِّقَهْ
كذا صلاتُنا علىٰ النبيِّ   تكرِمةً للمصطفىٰ المرْضيِّ

❋ ❋ ❋

وعليك بالتحلي بالآداب الزكيةِ، والأخلاق السنية، والهمم العليّة، هممِ السلف العلوية، وغيرهم من أهل العلوم النافعة العقلية والنقلية، التي ينبغي ـ خصوصاً لأهل البيت النبوي وأهل العلم والدعوة إلىٰ المنهج السوي ـ التحلي بها، وهي مشروحةٌ في كتبهم ومصنفاتهم ومناقبهم، منها بل من أهمها: بذل الهمة في تحصيل العلوم الشرعية، والآداب المحمدية، وتطهير القلب من كل دنس وغل وحسد، وكل خُلق ذميم.

ومن العيوب الثلاثة: عيوب النفس، وعيوب القلب، وعيوب الروح.

فعيوب النفس: تعلّقُها بالشهوات الجسمانية، كطيب المآكل والمشارب والملابس والمراكب والمناكح، ونحو ذلك. وعيوب القلب: تعلقه بالشهوات القلبية كحب الجاه والرياسة والعز، والكِبْر والحسَد والحقد، وحب المنزلة والخصوصية، ونحو ذلك. وعيوب الروح: تعلقها بالحظوظ الباطنة كطلب الكرامات والمقامات والحور والقصور ونحو ذلك.

* * *

ومنها: التواضع والحلم والصبر علىٰ الأذىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

وانظر ما كان عليه نبينا محمَّد ﷺ، وغيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، من الصبر علىٰ الأذىٰ وما كانوا يتحملونه من الأذىٰ في الله تعالىٰ حتىٰ صارت لهم العقبىٰ.

وينبغي لهم أيضاً اتباع سلفهم واقتفاء آثارهم والاهتداء بهديهم وأنوارهم، والاقتداء بأقوالهم وأفعالهم وزهدهم وورعهم وتحققهم بمعرفة ربهم عز وجل، فهم أوْلىٰ الناس بذلك.

* * *

وعليك بالتفكر في آلاء الله ونعمه ومخلوقاته. روي عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه وعنا به، قال: دخلتُ علىٰ أبي هريرة رضي الله عنه، فسمعتُه يقول: تفكرُ ساعةٍ خير من عبادة سنة. ثم دخلت علىٰ ابن عباس رضي الله عنهما، فسمعته يقول: تفكرُ ساعة خير من عبادة سبع سنين. ثم

دخلت علىٰ أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فسمعته يقول: تفكرُ ساعةٍ خير من عبادة سبعين سنة.

قال المقداد: فدخلت علىٰ رسول الله ﷺ، فأخبرته بما قالوا، فقال: «صدقوا»، ثم قال: «**أدعُهم لي**»، فدعوتهم، فقال لأبي هريرة: «**كيف تفكرُك، وفي ماذا؟**» قال: في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٩١] الآية. قال: «**تفكرُكَ خير من عبادة سنة**»، ثم سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن تفكره، قال: في الموت وهول المطَّلع. قال: «**تفكرك خير من عبادة سبع سنين**»، ثم قال لأبي بكر: «**كيف تفكرُك؟**» قال: في النار وأهوالها وأقول: اللهم اجعلني يوم القيامة من العِظَمِ بحالٍ يملأ النارَ حتىٰ يصدُقَ وعدُك ولا تعذِّبُ أحداً من أمة محمد في النار، فقال: «**تفكرك خير من عبادة سبعين سنة**»، ثم قال: «**أرْأفُ أمتي بأمتي أبو بكر**»(١)، فالفضل راجع إلىٰ مراتب النيات.

والتفكر أعلىٰ العبادات وأفضلها، لأنه عملٌ قلبي، وهو أعلىٰ وأجلُّ من عمل الظاهر، ومجاريه كثيرة شهيرة ،في كتب الرقائق مسطورة، فارجع إليها إذا أردت.

* * *

والحذرَ الحذرَ والغفلة وعدم الاستعداد لسفر النقلة، فإن الأمر جِدّ،

---

(١) حديث: «أرأف أمتي...» أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣:٥٣٥)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٦:٢١٠)، وله رواياتٌ وطرقٌ كثيرة في السنن وغيرها.

والعمر قصير، والأمر خطير، والوقت سيف قاطع، إن لم تقطعه قطعك. فالعاقل مَن انتهز الفرصة، وبادر الموت بالأعمال الصالحة، والتوبة الصادقة، والزهد في الدنيا، وحسن الظن بالله وبالمسلمين.

* * *

هذا ما حصل مع شغل بالٍ بحوادث الزمان، التي قلّ معها الصبر والاحتيال، نسأل الله أن يحول الحال إلىٰ أحسن حال، ولنقبض العنان عن حلبة البيان اكتفاءً بما قلَّ ودلّ، وما في كتب العلماء المحققين، وما اشتملت عليه الكتب الحدّادية، وغيرها من كتب سادتنا العلوية المتقدمين والمتأخرين من العلويين، وغيرهم من العلماء العاملين، العارفين بالله المحققين، كفايةٌ ونهاية.

* * *

وأجزتك في مطالعة كتب الفقه والحديث وغيرهما للعلماء العاملين المتقدمين والمتأخرين، من العلويين وغيرهم.

وأجزتك فيما صحت لي فيه الإجازة من مشايخي السادة الأشراف والمشايخ العُرّاف، أهل العلم والحلم والإنصاف، الحضارمة وغيرهم، نفعني الله بهم، أجزتك بكل ما أجازوني به إجازةً خاصة في عام أو خاص، أو عامة في عام أو خاص، وفي حَزوب السلف وصلواتهم علىٰ النبي ﷺ وغير ذلك.

وبحمد الله سندُنا بالعلويين متصلٌ ومحفوظ، ومُثبَتٌ في مصنفاتهم مثل: «الكنز»، و«مجموع الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر»، و«عقد

اليواقيت» للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، فهم الأصول في الطين والدين.

وأصولُنا وشيوخُنا مِن سادةٍ علويـة نبَـويـةٍ فاسمَـعْ و عِ

ولنا سندٌ من غير العلويين مثبت أيضاً. أجزتك فيما ذكرت وأولادك الموجودين، ومَن سيوجد، وأذِنت لك أن تجيزَ عني، وأسأل منك أن لا تنساني من صالح دعواتك في خلواتك وجلواتك، وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

قال ذلك الفقير إلىٰ عفو الله خفِيِّ الألطاف

محمدُ بن هادي بن حسن السقّاف

حرّر في ١٠ شوال سنةَ ١٣٦٧هجرية

علىٰ صاحبها أفضلُ الصلاةِ والسلام

تمت

❑ ❑ ❑

الإجازة الخامسة

من الشيخ محمد بن عوض بافَضْل

للحبيب علي بن عبد الرحمن الحبشي

ترجمة

العلاّمة الشيخ محمد بن عوض بافَضْل

(١٣٠٣ ـ ١٣٦٩هـ)

العالمُ العلاّمة، والحَبْرُ الفهّامة، والسالكُ مَسْلَكَ الاستقامة، الحافظُ لكتابِ الله تعالىٰ عن ظهرِ قلب. وُلِدَ بتَرِيم سنةَ ١٣٠٣هـ، في السنةِ التي وُلد فيها سيّدي الحبيب عَلَوي بن عبد الله بن شهاب.

كان المترجَمُ له من خواصِّ الحبيب أحمدَ بن حسنٍ العطّاس، لازمه مدةً طويلة، وجمع كلامَه الذي كان يلقيه في مجالسِه الخاصةِ والعامة، وترجَم له ترجمةً واسعة، وله فيه عدةُ مدائح.

أجازني وألبسَني وأطعمَني عدةَ مرات، منها مرةٌ في بيته سنةَ ١٣٦٤هـ، وأطعَمَني ذلك اليوم شيئاً من الرُّطَب، ولمّا كنّا نَدرُسُ عند ابنِه شيخِنا فَضْل، كان المترجَمُ له يدخُلُ علينا الفينةَ بعدَ الفينة يَستمعُ إلىٰ دروسِنا، وقد يوجِّهُ إلينا بعضَ الأسئلة.

ولما كان ابنُه فضل يدرِّسنا بزاوية مسجد الشيخ عبد الرحمن بايعقوب بتَرِيم كان المترجَم له يزورُنا في بعض الأيام، ويلقي علينا مسائلَ، خاصةً في النحو، وأذكر أنه مرةً أمرَنا بإعرابِ هذا البيت:

ما مَسَّني مِنْ هَجْرِها   ولا والذي عَزَّ وَجَلْ

فأعربتُه، واهتديتُ إلىٰ إعرابه، وهو: أنّ قولَه (وجَلٌ) فاعلُ (مَسَّ)، وليس فعلَ ماضٍ معطوفاً علىٰ (عزّ) كما يُظَن.

توفي الشيخُ محمدٌ المذكور فجأةً في شهرِ شعبانَ سنةَ ١٣٦٩هـ، بتَرِيم، رحمه الله تعالىٰ.

❑ ❑ ❑

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي ألهم وأنطق، وفتح كلَّ مغلق، حمداً نستمدّ به الفتح المطلق، والشهودَ المحقَّق، والاستقامة علىٰ إخلاص العبودية للحق، حتىٰ نوصل ونلحق بالرجال السُّبَّق، الذين سطع في قلوبهم نور التجلي وأشرق وأدير عليهم من رحيق المصافاة كلُّ كأس مُدهَق، حمداً تسري به الأرواح إلىٰ المعاهد الفِساح، فتنتَشِقُ العَرف الفَيّاح، من أزهار لطائف فتح الفتّاح عائذةً بجناب قدسه الرفيع في سلوك الطريق، من كل تعويق، لائذةً بحمىٰ عزِّه المنيع، أن يستفزها شطْحٌ أو تخريق، مستضيئةً بأنوار من تخيَّره الرحمن، واصطفاه من جميع الأكوان، وجعله منشورَ الأمان، لأهل الإيمان، في كل زمان ومكان، عليه من الصلوات الطيبة، غَيْداقُ أمطارها الصَّيِّبة، ومن التسليمات الزكيّة، نوافحُها العنبرية، وعلىٰ آله وأصحابه ومن اقتدىٰ به، في ذهابه وإيابه.

ثم إنه تكرر عليّ طلبُ الإجازة والوصيّة، من أحد كبار السادات العلَويّة، وهُو: السيدُ الجليل، العلمُ المفرد، والكامل الأمجد الأوحد ناشرُ لواء الدعوة إلىٰ دين الله، ومحيي طريقة أسلافه العارفين بالله علىٰ قدم الاتّباع، لأشرف نبي مطاع، الحبيب علي بن عبد الرحمن بن عبد الله الحبشي، ولعَمْري، لقد أخجلني هذا الطلب، الذي هو من أغرب ما

يُستغرب، لعلوِّ شأن ذلك الحبيب الكبير، وعدمِ أهلية الحقير الصغير، لهذا المطلوب الخطير، وهو يقول كما قيل:

ولستُ بأهلٍ أن أُجازَ فكيف أن أُجيزَ، ولكنّ الحقائقَ قد تَخفىٰ

وما مَثَلي إلا مثَلُ مَن حَمَل التمْرَ إلىٰ خيبر، والخرَزَ إلىٰ مغَاصِ الجوهر.

ومِن عَجبٍ أهدَاءُ تَمْرٍ لخيبرٍ وتعليمُ زيْدٍ بعضَ علْمِ الفرائضِ

فأحجمت عن ذلك مدةً مديدة، وقدّمت أعذاري إلىٰ حضرته السعيدة، لأن صاحب البيت بما فيه أدرىٰ، فلم يقبل لي عذراً، وأعاد الطلب مرة بعد أخرىٰ، لأن قلبه طافح بحسن الظنون، تبعاً لأسلافه وأمثاله من الذين لسوىٰ المحاسن لا يشهدون، ومن البحار يغترفون، فاستمدوا من الكونِ كلِّه، وعرفوا الحق لأهلِه.

والمرءُ إن يعتقدْ وليس كما يظُنُّـهُ لم يخِبْ واللهُ يُعطيهِ

* * *

فاغتنمتُ حينئذٍ إجابته، لعِظَم حقه علي، وكثرة تودّدِه إليّ، سيّما وقد تحقق استمدادُه، وعظُم مشهده واعتقاده، في مربي رُوحِنا، وشيخ فتوحنا، سيدنا الإمام أحمد بن الحسن العطّاس. فجمعَتْنا وإياهُ دائرة، كؤوسُها علىٰ حاضريها دائرة، وسحُبُها علىٰ أراضي القلوب ماطرة.

وقد مكث لديّ مدّة، وقرأ عليّ من الكتب عدة، نجلُه المبارك، الذي ساهم من الفنون العلمية وشارك، الألمعي الذكي، محمد بن علي،

فكان ذلك من أسباب المودة المكينة، ووثائق المحبة المتينة، وأنا أرجو من الله أن يعيد عليّ فيُوضَ بركاتهم، ومقبول دعواتهم، وأن يدخلني في شفاعة جدهم وشفاعتهم.

* * *

فأقول، مستمداً مدَدَ أهل الرسول عليه وعليهم الصلاة والسلام:

إن لله تعالىٰ نفحاتٍ، تتجَدَّدُ بتجَدُّد الأنفاس والخطرات، لن تعدوَ قدرها، تغمر من استمطرها، وتصيب من انتظرها، ويظفر بالمزيد من شكرها. ولقد أجاد مَن قال:

يا مريدي اجتلاء غاداتِ فتْحٍ صَانَها اللهُ في الخُدورِ الجميلَهْ
أحسنـوا الظنَّ في إلـهِ البَـرايا دائماً، وابتَـغـوا إليـهِ الوسيلَـهْ

فسُبحان مَن تفضل علىٰ هذه الأمةِ بنعمٍ كبرىٰ، جمعَتْ لهم خيرات الدنيا والآخرة، فبعث فيها صفيَّهُ المنتخب من جواهر الشرف، ونبيَّهُ المنتقىٰ من اللؤلؤ المكنون في الصَّدَف، وقدّمه علىٰ مَن سبق وسلف، وأتحفه بأعظم التحف، فأقام الدين، وجاهد الملحدين، وهدىٰ الحائرين، وعبد ربه حتىٰ أتاه اليقين، ولحق بأعلىٰ عليِّين، فخَلَفَه مِن عترته أولي القُربىٰ والقربة، وصحبهِ السابقين إلىٰ شرف النصرة والصُّحبة، رجالٌ سلكوا منهاجَه، وحملوا تاجَه، وراعوا بكوره وإدلاجه، وكلّما مضىٰ إمام، حمَلَ الراية بعده إمام، يدعـو إلىٰ دار السلام، ويحمي بيْضةَ الإسلام، وهكذا في كل أوان، بلا فتور ولا تَوَان.

وليس يصِحُّ في الأذهان شيءٌ إذا احتـاجَ النـهـارُ إلىٰ بيـانِ

وإن تراكمت الفتن، وطن في الآذان طبلُ دُعاتِها وحَنّ، وأقبلت كقطع الليل المظلم إذا جَنّ، ولكل قطر من ذلك الفضل نصيب، كما لكل جامعٍ منبر وخطيب، فالدعاة إلىٰ أشرف سبيل، بالفعل والقيل، وبالجذب بمغناطيس الأحوال، المخصوص به رجال، هم منتشرون في الآفاق، وعلَمُ الدعوة والتسليك إلىٰ المليك بهم خفّاق.

فطوبىٰ لمن أخذ عنهم، وتلقّىٰ منهم، وأوىٰ إلىٰ ظلهم، واعتصم بحبلهم، فإنهم ومَن معَهم كسلسلةٍ وثيقة العُرىٰ، متصلةٍ بخير الورىٰ، إذا تحرك أدناها تحرك أعلاها، وسفينة ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١].

* * *

وقد حَظِينا في زماننا هذا ــ علىٰ انحطاطه وتأخره ــ ببقايا من أئمة الحق ومعشره، مشَوْا علىٰ سواء الصراط، وأخذوا ــ فيما اختلف فيه ــ بالورع والاحتياط، ودعَوْا إلىٰ الله علىٰ بصيرة، بالحجة المنيرة. جعلوا أساس سلوكهم تصفيةَ السريرة، والعزوفَ عن الدنية الحقيرة.

ولقد لقينا بحمد الله منهم أعداداً؛ أقطاباً وأوتاداً، وعلماءَ زُهّاداً، واتصلنا بهم طريقة وإسناداً، وكلهم من ضِيْض العنصر النبوي، ودوحة الشرف المصطفوي، أو ممن امتزج بهم في المشرب والمذهب، واستحق أن يُثبَت في ديوانهم ويُكتب.

[ذكر شيوخ المجيز]

١ ــ فأول من انفتحت لي به المغالق، وكان لرتْقِ القلب أعظَمَ فاتق، بحْرُ المعارف والحقائق، وشمسُ الشموس الشوارق، الممنوحُ بالكمالات، والمواهب اللدنيات، سيدي وسندي، وملاذي ومعتمدي؛ أحمد بن حسن بن عبد الله العطّاس.

فقد منحني قدَّس الله سره محْضَ الوداد، وأحَلَّني في الشفقة والتربية محَلَّ الأولاد، صحِبْتُه بعد أن عرضني عليه أبي رحمه الله، فقبِلني، وقال: إني في طلبه، وقد دعوتُ الله وتوجهت إليه في تسهيل مُعينٍ لي ومساعد، وسنِّي وقتَئذ أربعَ عشرةَ سنة، وكان ذلك عند قدومه إلىٰ تريم هو وسيدي العارف بالله علي بن محمد بن حسين الحبشي في شهر القَعدة سنة ١٣١٦هـ، وكان مجلسهما ومنزلهما معاً في دار السيد الشريف عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن شهاب الدين، فقال لي سيدي علي حين صافحتُه ملاطفاً: تريد تذهب إلىٰ حريضة مع حبيبك أحمد بن حسن؟ قلت: نعم، قال: هل تصبر علىٰ قوت حريضة؟ فإنه الخمير والروبة والدُّجْر والقهوة البنية! قلت: نعم، قال: هنيئاً لك بصحبته، ويا بختك.

وكان سيدي علي يقرأ لسيدي أحمد في تريم في كتاب «الأسماء والصفات» للبيهقي، وقد بقي منه نحو الثلث، فكان ختم الكتاب وتمامه بقراءتي، ولما أكملته وأنا بحريضة أمرني بالقراءة في «مسند الإمام أحمد ابن حنبل»، وهو ستة مجلدات ضخام، فشرعْتُ أقرأ فيه، وكنت أسرد عليه الأحاديث سرداً.

وحصَلت لي من الله المعونـةُ والبركة بملاحظته، وانطلقتْ لساني انطلاقاً غريباً بلا لحن ولا خطإٍ في العربية، حتىٰ حضر لدىٰ سيدي أحمد يوماً بعض علماء السادة أهل تريم، فسمع قراءتي، فقال لسيدي أحمد: متىٰ تعلَّم النحو بافضل وعرفه في أسرع وقت؟ قال: لأنه يسمع الكلام، يعني: يمتثل، فقال له: علِّمونا كما علمتموه، قال: أنتم قد صرتم عُقّال، يشير بكلامه إلىٰ أن الانطراح والانقياد والتذلل للشيوخ، سبَبٌ للفتوح والرسوخ.

قال لي: أتدري لِمَ اْختَرْتُ لك هذا الكتاب تقرأ فيه؟ قلت: لا، قال: ليكون أولُ علمٍ يطرُقُ سمعَك كلامَ النبوة، وليسبق نوره وبركته صلّىٰ الله عليه وسلم إلىٰ قلبك قبل كل شيء، قلت: وذلك بعد أن حفِظت القرآن كله وأنا بتريم، فجزاه الله عني خير الجزاء في دار النعيم. وبسْطُ ما وقع لي معَه، يستدعي من الزمان طولاً وسعة، وقرأت عليه كُتُباً شتىٰ في العلوم النقلية والعقلية، ودارسْتُه القرآن، ولازمته إلىٰ أن توفي رضيَ الله عنه في رجب سنة ١٣٣٤هـ.

وقد حصَلت لي منه الإجازاتُ المتعددةُ منفرداً ومع الغير، وكذا لُبس الخرقة، وتلقين الذكر، والمشابكة، والمصافحة، ومناولة السُّبحة، والتلقيم باليد، بلا حصرٍ ولا عدد، بجميع الطرق التي تلقاها، وأسندها ورواها، عن الأئمة الأعلام، والمشايخ العظام، في اليقظة والمنام، والغيب والشهادة، بأسانيدهم إلىٰ سيد الأنام، وبتلقيه عن جده الأعظم صلّىٰ الله عليه وسلم بلا واسطة، وعن أبي العباس الخضر عليه السلام، وعن الخلفاء الأربعة، وعن الإمام الشافعي والغزالي وأبي إسحق الشيرازي، والنووي،

والجيلي، وابن عربي، وابن حجر، وعن كبار أسلافه العلويين، من لدُنْ سيدنا المهاجر إلىٰ الله أحمد بن عيسىٰ، فمن بعدَه إلىٰ المقدّم، والسقاف، والمحضار، والعيدروس، والشيخ أبي بكر بن سالم، والحبيب عمر بن عبد الرحمن العطّاس، وابنه الحسين، والحبيب عبد الله الحداد، وغيرهم من أهل الدوائر.

ومشايخُه الذين أخذ عنهم في الظاهر كثيرون، ممن يهدون بالحق وبه يعدلون، وأجَلّهم هؤلاء الأربعة: سيدنا الإمام صالح بن عبد الله بن أحمد العطّاس، وسيّدنا الإمام أبو بكر بن عبد الله العطّاس، وسيدنا الإمام أحمد بن محمد المحضار، وسيدنا الإمام أحمد ابن زيني دحلان.

وقد بيّن مَنْ أخذ عنهم في إجازاته المختصرة والمطوّلة للشيخ العلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني، وهما مطبوعتان في آخر كتابه «جواهر البحار».

❊ ❊ ❊

وفي خلال إقامتي لديه، ومثالي بين يديه، وتردُّدي معه إلىٰ (دوعن) ووادي (عمد) ووادي (ابن رشد)، لقيت ببركته، ونتائج سر صحبته، رجالاً من أهل الفضائل الكثيرة، والبصائر المنيرة، وحصَل لي بهم الاتصال، المرجو نفعه في الحال والمآل، فنتبرك بذكر بعضهم في هذه الورقات، مع التنويه بشيء من صفاتهم الطيبات، وما خُصّوا به من الخصوصيات، علىٰ سبيل الوِجَازة، وما وقع لنا منهم من صلة وإجازة.

❊ ❊ ❊

فمن أهل بلد (عمد): السيدان الإمامان، المعدودان من أعاجيب الزمان: العارف بالله محمد، وأخوه الحبيب العارف بالله عمر، ابنا الحبيب القطب الغوث صالح بن عبد الله العطّاس.

٢ ــ أمّا الحبيب محمد فهو أشهر من أن يُذكر، تفرَّد في زمانه بالأحوال العظيمة، والطريقة القويمة، والطَّوِيّة السليمة. كان يلْقىٰ الخَضِر عليه السلام، ويشاهد الأنبياء والأولياء يقظةً عِيَاناً، ويتلو القرآن بين اليوم والليلة ثماني مرات، وانتهىٰ أمره إلىٰ تلاوة عشرين ختمة في اليوم والليلة. وقد حكىٰ الحبيب العلاّمة حسين بن محمد الحبشي مفتي مكة المشرفة أنه أراد التبرك عليه بتلاوة سورة طه، قال: فشرعْتُ فيها وشرع الحبيب محمد من أول القرآن، فبلغ سورة الناس، وبلغتُ أنا آخر سورة طه، وقال لي: أكملتُ الختمة كلها ببركتك يا صنو حسين.

قلت: وصحبْتُه يوماً وقتَ خروجه من بلد (حريضة) راكباً علىٰ دابته إلىٰ نحو وادي (عمد)، وسيدي أحمَدُ قدّامَنا، وكان مراد سيدي أحمد يَقِيل بهم ويضيفهم في وادي (عَمْد) بمحلٍّ له فيه زرعٌ وحرث، وبصحبته أيضاً الإمام العارف بالله محمد بن أحمد العطّاس ابن عمه، وكنتُ أُماشي الحبيب محمد بن صالح المذكور وهو راكبٌ علىٰ دابته ويدُه في يدي، فكان يحدّثني بالغرائب من اجتماعاته مع الخضر عليه السلام وغيره من الأولياء؛ ولكون سلامة الصدر غالبةً عليه يظن أن هذه الخصوصية موجودة لدىٰ أكثر الناس.

وكان بسّاماً، طلْق المُحَيّا، أبيض اللون من نوع حُمْرة، يخضِبُ

لحيته بالحناء، يمشي هَوْناً بمشية حُلوةٍ تروق عين الناظر، كأنما ينحطّ عن صَبَب، وكان مستغرقَ الفكر بربه، شغوفاً في كل آنٍ بتلاوة القرآن، وتوفي رضي الله عنه ببلد (عَمْد) في شهر شعبان سنة ١٣١٨هـ.

وبلغ خبر وفاته إلىٰ سيدي وهو في بلد (عَنَق) قافلاً من (دوْعَن). ورأيتُ علىٰ سيدي من الكآبة والحزن بفراقه ما لم أرَهُ لغيره. ولمّا وقف علىٰ ضريحه بكىٰ وانتحب، مع كونه ثابتاً عند النوازل، وذلك لعظم منزلته لديه، ولكونهما في الطلب والنشأة كفرسَيْ رهان، ورضيعَيْ لبان، تحت ملاحظة شيخهما وأبيهما رحمة الله عليه وعليهما.

٣ــ وأمّا أخوه عمر، النجم الأزهر، فهو مجمع الكمالات، ومنبع الأخلاق المرضيات، تخلّق بأخلاقٍ لا تطاق، فلا نظير له فيها علىٰ الإطلاق. أنفق عمْرَه في الطاعة، وبسَط في الكرم باعه، وأطعم الطعام في أوقات المساغب والمجاعة، وكان يخبِزُ الخُبزَ للأضياف أحياناً بيده المكرّمة، التي اشتهرت بتكثير القليل من الأطعمة.

وأخْذه وتلقّيه عن أبيه ومعاصريه، وعن الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطّاس، ولنا منه إجازات: خاصة وعامة، ومجالس متعدّدة بحريضة وعمد والمشهد، ولي منه مكاتبات بخطه المليح، وخطابه الفصيح، وبشّرني في بعضها بقوله بعد الخطبة:

(إلىٰ محبنا وخُلاصتنا، الذي هو منا وفينا:

سلمـاننـا ذي منـنـا   صدقاً كقول العَيْدَروس)

هذا البيت من جملة أبيات لوالدِه الحبيب صالح بن عبد الله يمدح بها الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان.

ولمّا قرأت هذه المكاتبةَ علىٰ سيدي أحمد بن الحسن قال لي: (احفظها عندك، ففيها شهادة لك؛ وهذه كلمة غالية لا يقولها كل أحد، ولا تقال لكل أحد).

توفي رضي الله عنه في شهر جمادىٰ الآخرة سنة ١٣٣٦هـ، وكان رضي الله عنه في التضرع والدعاء والابتهال إلىٰ الله يأتي بالأدعية المنوّعة الجامعة الكاملة، ويهتم بالمسلمين أعظم الاهتمام، فلا يدع مطلباً من المطالب المهمة، الدنيوية والأخروية، إلا واستحضره في ترتيب الفاتحة، مع غلبة الخشوع، وجريان الدموع.

٤ـ ومنهم: السيد الجليل العلاّمة الفهّامة محمد بن أحمد بن عبد الله العطّاس، ذو العلم الواسع، والصِّيت الشاسع. أخذ عن عمه وشيخه الحبيب صالح، وربّاه تربية كاملة، وملأه بالأسرار والأخلاق الفاضلة، حتىٰ برع وعلا قدره، وارتفع له شهرة عظيمة باليمن؛ لأنه مكث بالقنفذة مدةً داعياً إلىٰ الله، وظهرت له كرامات هناك، وله لسان بليغة في الدعوة والنصح والموعظة، وينشىء بقلمه الجميل نظماً ونثراً إنشاءات فائقة.

وقد كتب لي بخطه إجازةً حين طلبتها منه، وأرسلها إليّ إلىٰ بلد حريضة، وتوفي رضي الله عنه وهو ساجد في صلاة الصُّبح سنة ١٣١٨هـ.

٥ـ ومنهم: أخوه الحسين بن أحمد، العالم العامل الأوحد، شريكه في الطلب، واقتناء الفضائل ومحاسن الأدب، لي معه مؤانسات ومجالس

مستطابات، وتلـقٍّ وإجـازات. وأجَلُّ مشايخه: سيدنا الحبيب صالح بن عبد الله، وسيدنا أبو بكر بن عبد الله، وسيدنا أحمد بن محمد المحضار، وسيدنا أحمد بن زيني دحلانَ، وغيرهم. وهو شريكُ شيخِنا في الطلب، وفي أخذ العلم والأدب، في (عَمْد) و(مكة)، وبينهما روابط إخاء غير منفكّة، وتوفي رضي الله عنه سنة ١٣٣٦هـ، أو سبع وثلاثين. وكانت الفتاوي تُحمل إليه رحمة الله عليه.

٦ ــ وممن لقيناه ببلد (خَنْفَر): السيد المعمَّر، الصالح المنوَّر، محمد بن عبد الله الحبشي، وهو مَنصِبُ مقامه، يشير إليه سيدي بالولاية، وبلغ من العمر مئة سنةٍ أو أكثر، كما ذاع واشتهر.

٧ ــ وببلد (عَمْد) أيضاً اتصلنا بالحبيب الوليّ الخاشع العابد، محمد ابن حسين بن محمد الحامد، العارف بالله، المستغرق في شهود مولاه، فالسكينة والوقار سِيماه. كان الحبيب أبو بكرٍ العطّاس يثني عليه ويشير بالسر والولاية إليه، وتوفي ببلـد (عَمْـدٍ) ودفـن بجنـب والده رحمهمـا الله تعالىٰ.

٨ ــ وممن لقيته وجالسته من أولياء الله، الذين إذا ذكروا ذكر الله: الإمام المأمون، علىٰ السر المصُون، سيدي طاهر بن عمر بن أبي بكرٍ الحداد، ساكن (قيدون). وهو إمام عظيم، ذو وجه وسيم، وخُلُق كريم، تبرق بالنور أساريره، ويفوح بالسر المحمدي عبيره، ذو قدم في المجاهدات راسخ، ونَغَمٍ بذكر الله تطرب لسماعه الجبالُ الشوامخ.

اجتمعتُ به مرات، ونالتني من دعائه بركات، وقتَ ترددي إلىٰ

دوعن مع سيدي أحمد؛ لأنه لا ينزل إلا في بيته، وكان يُجِلُّه غايةَ الإجلال، ويعُدّه من أفراد العباد أهل الكمال، وهو يعتقد سيدي عين زمانه، ويأخذ بإشارته في معظم شانه، وقد حصل لنا منه كمال الاستمداد، والاتصال بما اتصل به من إسناد.

٩ ــ وأما نجلُه محمد، العلَمُ المفرد، فقد تشرفت برؤيته لما جاء إلىٰ بلد تريم زائراً وأنا صغير، وحضرت زيارته (تربة زنبل)، وسمعت مذاكرته العذبة الرطبة عند ضريح جدّه الإمام عبد الله بن علوي الحدّاد، وطلب من والدي المرحوم الشيخ عوض بن محمد بافضل أن يكتب له: «رشفات أهل الكمال» بخطه المليح، فكتبها له في يوم أو يومين.

وكانت وفاة سيدي طاهر بقيدون سنة ١٣١٩هـ، ووفاة ابنه محمد بجاوَة سنة ١٣١٦هـ، قدس الله سرهما وأولاهُما رضاه.

١٠ ــ ولقيت بدوعن أيضاً في حياة سيدي وبعد وفاته: السيد الوليَّ الصالح عبد الرحمن بن محمد خِرِد، المقيم ببلد الماء، وهو أحدُ الآخذين عن الحبيب صالح بن عبد الله، وأبي بكر بن عبد الله.

وله قضية مع سيدنا الخضر عليه السلام يرويها عنه سيدي أحمد، تتضمن الثناء علىٰ ثلاثة من رجال ذلك العصر، أحدهم: الحبيب صالح، وثانيهم: الحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه، وثالثهم: الحبيب أبو بكر بن عبد الله، وهو الذي أخبر به السيد عبد الرحمن أنه أبو العباس الخضر؛ وقد بات عنده متنكراً عليه ولم يعرفه إلا حين اجتمع به في حضرة الحبيب أبي بكر يوم زيارة المَشْهد.

وكان إذا رأىٰ أحداً ممن ينتمي إلىٰ سيدي أحمد في التلقِّي والأخْذ يكاشفُه ويعرفه بدون تعريفٍ، كما وقع ذلك لبعضهم وأنا حاضرٌ لديه، وكان الحبيب طاهر بن عمر يثني عليه بقوَّة اليقين، وتوفي رحمه الله سنة ١٣٣٦هـ.

١١ ــ وممن لقينا ببلد (بُضَهْ) في دوعن الأيمن: السيد المكين، أحد الأولياء العارفين، زين بن أحمد خِرِد، ولسيدي به صحبةٌ أيام إقامته بمكة، له أخذ عن الحبيب أبي بكر العطّاس وغيره، وينعته سيدي أحمد بأنه: من أهل الكشف. ومما وقع له أنّ والده ناداه من بلد (بُضَهْ) وهو إذ ذاك بمكة، فسمع نداء والده وأجابه؛ وتوفي سنة ١٣٢١هـ.

١٢ ــ ومن أهل (بُضَهْ): السيد التقيّ النقي، ذو القلب الجوهريّ، جعفر بن محمد بن حسين العطّاس. له مع سيدي أحمد صحبةٌ أكيدة، ومحبة شديدة، وكان أولياءُ عصره يُثنون عليه بصفاء السريرة، واستقامة السيرة.

وسمعتُ من سيدي علي الحبشي، عن الحبيب أبي بكر العطّاس أنه يقول: (جعفر بن محمد مكتوبٌ في اللوح المحفوظ من أولاد روحي). وكانت بيني وبينه مودة ومحبة واتصال تام، ولي منه تعطف وتحنن لا أنساه مدَّ الليالي والأيام. وكان يقول لي دواماً: (أنا أرجو لك رَجْوَىٰ كبيرة بمجالستك وصحبتك لأخينا أحمد)، حقَّق الله ذلك الرجاء، آمين. وتوفي رضي الله عنه سنة ١٣٢٢هـ.

١٣ ــ ولقينا ببلد (بُضَه) أيضاً: الشيخ الصالح المعمَّر مئةً وأربعَ

سنين، عبد الله باطِيْرَان العمودي، خطيب البلد، وكان يحفظ الخطب النُّبَاتية كلها عن ظهر قلب، وله أخذٌ وتلقٍّ عن العلاّمة السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل وغيره، صادف يومَ وفاته حضورُ سيدي أحمد، فصلّىٰ عليه.

١٤ــ ولبسنا مراراً قبع سيدنا الفقيه المقدم، المشتمل علىٰ خرقة الشيخ شعيب أبي مَدْين مِن منصِب الشيخ سعيد بن عيسىٰ العمودي، وهو الشيخ الولي صالح بن عبد الله بن مطَهَّر.

❊ ❊ ❊

١٥ــ وممن لقينا من المعمَّرين الصالحين: السيد حسن بن طالب العطّاس ساكن (الجُبَيل)، عمِّر مائةً وعدة سنين، ولقي جملة من العارفين، وكان دخول الوهابي إلىٰ حضرموت وهو في سن البلوغ، وكان ذلك سنة ١٣٣٠هـ، وكان يمشي علىٰ قدميه من (الجُبَيل) إلىٰ بلد (حريضة)، فيبلغها في آخر النهار قبل غروب الشمس والمسافةُ نحو مرحلتين شرعية.

١٦ــ ولقينا ببلد (هُدُونْ): الشيخَ العلاّمة المحقق عمر باعثمان، مفتي الديار الدوعنية.

١٧ــ وتلميذَه المحقق ذا الأسانيد العالية، والاتصال الكامل برجال العلوم الحديثية وغيرها: عبد الرحمن بن أحمد باشيخ.

١٨ــ وممن حظينا بمعرفته وصحبته والاستمداد من بركته: السيد المُسربَل بالأنوار والأسرار، حامد بن الحبيب أحمد بن محمد المحضار، خليفةُ والده، والسائرُ بسيره في سائر مقاصده. كان لسيدي أحمد منه محبة ومودة ليست لأحد عنده.

ووقعت لي معه مجالسات ومؤانسات، وأجازني باللفظ مرات، ولمّا طلبت منه الإجازة أول مرة قال لي متعجّباً: أَتطلب الإجازةَ مني وأنت جليسُ أحمد بن حسن؟ وكانت وفاته رضي الله عنه سنة ١٣١٨هـ، وكان آخر كلامه يوم وفاته تكرير التشهد، وأَخَذَ عن والده، وتأدب بآدابه، وعن الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان وابنه الشيخ محمد.

١٩، ٢٠ ــ وممن تشرفنا بوصلهم، واغترفنا من أبحر فضلهم: السيدان العارفان بالله، سيدي العلاّمة الأوحد الحسين بن محمد، وابن عمه: العلم المفرد، عمر بن أحمد البار، المشارُ إليهما بالكمال في تلك الديار، المشتغلان طول حياتهما بالإفادة والتعليم، والدلالة علىٰ الصراط المستقيم، وشيخُهما الوحيد، هو الإمام الفريد، سيدي أحمدُ بن عبد الله ابن عَيْدروس البار، عمُّ الأول ووالدُ الثاني، وقد أدرك الحبيب حسينٌ الشيخَ الإمام عبْدَ الله باسودان في إبان الصِّغر.

وكتب لي إجازةً بإملائه على كاتبه، وباللفظ منه ومن سيدي عمر بن أحمد مراراً، وكانت وفاة الأول سنة ١٣٣٢هـ، واختصّ بملازمة سيدي أحمد بن الحسن، وقرأ عليه كتباً عديدة في فنون شتىٰ، وكان يحبُّه ويُثني عليه، ويقول: (قَرّت بك عين النبي ﷺ).

٢١ ــ وفي بلاد (الرَّشِيد): أخذنا الإجازة واتصلنا بالسيد الجليل العلاّمة المحقق، مفتي الديار الدَّوعنية، الحبيب سالم بن محمد الحبشي، له «فتاويات»، وتآليفُ نافعات.

٢٢ـ ومشىٰ علىٰ طريقته وأحيا مدارسه الفاضل العالم العامل: عمر ابن حسين الحبشي؛ أخذنا الإجازة عنه.

٢٣ـ ولقينا مع سيدي ببلد (الخريبة): السيد الجوهري النوراني، الذي هو في مولاه متولِّهٌ وفاني، المعمر الحبيب عمر بن أحمد الجيلاني.

❊ ❊ ❊

٢٤ـ وكذا السيد العارف بالله الكوكبُ الدرّي، عمر بن أبي بكر الجفري، له بسيدي اتصال وود وامتزاج، وبينَهما مكالمات سِريّة، ومحاورات روحية.

٢٥ـ ولقينا بالخريبة أيضاً: الشيخ الصالح، علي بن الشيخ أحمد ابن عبد الله ابن أحمد باسودان، أدرك والده، ولاحظه بنظره، ولم يُشتهَر بالعلم كأخويه محمد وأبي بكر.

٢٦ـ ولبسنا قُبْع الحبيب القطب عمر بن عبد الرحمن العطّاس، المُودَعَ عند تلميذه الشيخ علي باراس، من يد سيدي أحمد، ومن يد منصب مقامه الشيخ حسين بن محمد باراس.

٢٧ـ وتعرفْنا بالشيخ الوليّ المستتر بالخمول: عبد الله باسُنْدُوَهْ، كان سيدي يشير إليه بالسر والولاية، وكان ذلك إذا لقي سيدي في الطريق عدل به إلىٰ جانب وسارّه مُسارةً خفيّة، فقيل لسيدي: إنك تطيل الخطاب مع هذا الرجل، قال: نعم، معه مسائل مشكلة، قيل: وما هي مسائله؟ قال: تحتَ سِجْفِ الغَيْب، كما أخبرني بذلك الشيخ محمد بن محمد بلخير رحمه الله.

٢٨ ــ وصحبنا نجله حامل القرآن، وجليس ذكر الرحمن، محمد بن عبد الله، وأجازني خصوصاً لضعف القوة في قول: «بسم الله الرحمن الرحيم، لا حول ولا قوة إلا بالله»، عند النهوض للقيام.

وسمعت جدي وشيخي العلامة العارف بالله أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الخطيب الأنصاري يقول: (زرنا المدينة المنورة، فلمّا كنا بباب السلام، قال لنا الشيخ محمد باسندوه، وكان معنا في تلك الزيارة: إذا وقفتم في المواجهة للحضرة المحمدية، فسلِّموا علىٰ الحبيب الأعظم صلّىٰ الله عليه وسلم بأدب وسكينة ووقار، وصوت خافت، لكي تسمعوا الرد من الحبيب محمد ﷺ، فدخلنا، وسلَّمنا وسمعنا رد السلام منه صلّىٰ اللهُ عليه وسلم).

وهذه منقبةٌ له جليلة، وكرامة عظيمة، وتحتمل أن تكون للاثنين، وسيدي الجد الشيخ أحمد جدير بها وبأعظم منها، ولكنه كان غايةً في الكراهة للشهرة، وفي إيثار الخمول وستر الأحوال، وهو أحد مشايخي الذين انتفعتُ بتربيتهم والاستنارة من علومهم، ولعلي أذكره فيما سيأتي بطريقة الاختصار إن شاء الله.

* * *

وفي خلال صحبتي لسيدي وولي نعمتي، وتردده إلىٰ شبام وسيئون وتريم، لزيارة صالحي السلف، والاستمداد من أهل المجد والشرف، وفضلاء الخلف، لقينا ورأينا وقرَّتْ أعيننا برؤية وجوهٍ مسفرة، وغرر كريمة نيّرة، مِمّن امتطىٰ ذروة المعالي، وخطر في بُرْد الكمال، النفيس الغالي.

٢٩ــ كمثل السيد الجليل، الذي عليه من أنوار السلف الصالح إكليل، الحسن بن أحمد بن سميط، المقيم بشبام، وكان يُعرف بسيماه أنه من أولياء الله، طويل القامة، عظيم الجِسْم، له لمّةٌ عظيمة، صاحب أخلاق كريمة، وقدمٍ علىٰ التقوىٰ مستقيمة، حصلتْ لنا معه ومع سيدي مجالس شريفة، ومحاضرات منيفة، يدار فيها رحيق المذاكرة في علماء الآخرة. والمذكور ممّن تربَّىٰ وتهذب علىٰ يد الإمام المجدِّد للعصر سيدنا أحمد بن عمر بن سميط.

٣٠ــ وكسيدنا العلاّمة الغيور، الداعي إلىٰ الله، طاهر بن عبد الله ابن سميط. وقع نظره عليه.

٣١ــ وكسيدنا جليل القدر، كثير المزايا والمحامد، أحمد بن حامد ابن سميط.

٣٢ــ وبحوطة الحَزْم: واجَهْنا ولقينا السيد الوليّ الكبير، الممتلىء نوراً ويقيناً، وكشفاً وتمكيناً، الحبيب عيدروس بن حسين العيدروس، وهو إمام فاضل، وعالم وعامل، ذو اتصال كامل بأئمة عصره، متَبَتِّلٌ إلىٰ الله في سره وجهره، تعلوه الهيبة والوقار، وتُشَمُّ من أعطافه للولاية أعطار، وله في الكشف ورؤيةِ أرواح سلفه الأكابر، ومكالمتهم، أمرٌ خارق للعادة.

وقد حججت أنا ووالدي عام حجه الأخير سنة ١٣٢١، واجتمعنا به في مكة المشرفة، وحصلت لنا به غاية المعرفة. ثم في حضرموت اجتمعنا به في (تريم)، وفي (الحزم) مع سيدي أحمد بن الحسن لمّا أضافه ومَن معه، وقد حظينا بالإجازة والتلقين، وأخذنا عنه الطريقة العيدروسية، وأسانيدُه رحمه الله في غاية!

ع توفي سنة ١٣٤٦هـ، ومولده سنة ١٢٥٧هـ، وعمره عند وفاته ٨٩ سنة، فقط - فليصحح، والله أعلم. ٢٥/١٢/٢٤هـ

وقد ذكر من مشايخه العدد الكثير في إجازاته المطوَّلة للسيد الفاضل عمر بن أحمد بافقيه الساكن بالشحر الآن، وتوفي رضي الله عنه وقد بلغ من العمر مئة سنةٍ أو قريباً منها، بأرض الهند بحيدرآباد، وذلك سنة **١٣٤٢** هـ.

قلت: وقد جرَتْ للحبيب عيدروس المذكور في سياحته حكاية غريبة عجيبة حدَّث بها ورواها لسيدي أحمد بن حسن العطّاس من لفظه وأنا أسمع، بحضرة الجمِّ الغفير في بيته، وهي نادرةٌ تاريخية، راويها ثقة صَدوق، وحاصلها:

أنه سافر براً إلىٰ (السِّند) علىٰ قدم التجريد والتوكل، مع ثلاثين نفراً من السوَّاح، ولمّا بلغوا إلىٰ أرض (كابل) و(طهران)، سمعوا أن هناك يهودياً رأىٰ سيدنا الإمام عليَّ بن أبي طالب، وممّن حضر وقعة خيبر، قال: فلمّا بلَغْنا ورأينا أهل تلك المدن والقرىٰ والبراري مُجمِعين علىٰ ذلك، صمَّمنا العزْم علىٰ لقائه والسماع منه بلا واسطة، وقيل لنا: إن بتلك النواحي مئةَ ألف نسمةٍ من اليهود من ذريته، كلهم ينتسبون إلىٰ ذلك الشخص ويتزاحمون علىٰ زيارته، وهُو مُلقىً علىٰ سرير لا يتحرك إلا بمحرِّك، فجئنا إليه وأُذِنَ لنا، وجلسنا حوله، ورفعوا أشفار عينيه، فحدّق فينا جميعاً، وميَّز العرب من العجم بقوة إدراكه.

واستفهمناه: بماذا أطال الله عُمرَكَ حتىٰ عشت إلىٰ هذا القرن الذي نحن فيه؟ قال: بدعوة علي بن أبي طالب ــ لأنه أصابه بطرف سيفه [في] وقعة خيبر ــ فقلت له: أنا صديقك، لا تقتلني، وكنتُ صديقاً له من قبل، قال لي: أنت لا تموت إلا مسلماً، فتيقَّنت أن كلامه لا يخطىء، ووعده لي بالإسلام حق، فبقيت علىٰ اليهودية وأخَّرت إسلامي محبةً في طول عمري، وإن شاء الله أدخل في الإسلام قريباً، ويأتي الموت وأنا مسلم. ثم أرانا

أثَـرَ جراحةٍ في ظهره، وقال: هذه الجراحة تثُورُ عليّ كلّ سنة، وهي من أثر ضربةِ سيفِ [عليٍّ] وقتئذ. وكان لا يطعَمُ شيئاً سوىٰ أصْفَر البيض واللبن.

قال الحبيب عيدروس: وفارقنا ذلك الرجل، وبلَغنا أنه بعد ذلك أسلم ومات مسلماً، وذلك فيما أظن سنة ١٣٢٤هـ.

قلت: فتعجَّبَ سيدي من هذه الحكاية الغريبة، وتلقاها بالقبول وقال: تدخل في حيِّز الممكنات، ولها شواهد ونظائر من أخبار المعمَّرين مثل (رتَن) الهندي الذي نشر أخبارَه الحافظُ ابنُ حجر في «الإصابة»، وكالذي لقي النبي ﷺ وهو بالخندق ودعا له وعُمِّر أربعمئة سنة وزيادة، وأسنَد عنه بعض المحدثين، وكالذي لقيه الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطّاس في (المكَلّا) وهو من بلد السودان وله من العمر ثمانمئة سنة، والله عليم خبير[(١)].

(١) أمّا (رتَن) الهندي فهو كما قال الحافظُ الذهبي ــ وغيرُه من الأئمّة ــ شيخٌ دجّال. ومَن تأمّل بعض الأحاديث المروية من طريقه أيقن أنّ الأمر من اختلاق الرافضة (الشيعة) لترويج عقائدهـم، خصوصـاً في المهدي وبقائه إلىٰ يومنا هذا. لذا، شبّه الحافظ الذهبي ــ في كتابه «كَسْر وَثَن رتَن» ــ مَن يصدِّق بـ (رتَن) بمن يصدِّق بخرافة تعمير المهدي في السِّرداب إلىٰ يومنا.
ومن الأحاديث التي رُويت من طريق (رتَن): «ما من عبدٍ يبكي يومَ قتل الحسين إلاّ كان يوم القيامة مع أولي العزم من الرسُل»، «البكاء في يوم عاشوراء نورٌ تامٌّ يومَ القيامة». فهذا مما يُروىٰ عنه بطريق (رتَن)! واليهوديُّ في القصة أعلاه عُمِّرَ بدعاء عليٍّ ابن أبي طالب عليه السلام! فيا ليتَ شعري! ألا مِنْ معمَّرٍ لقيَ أبا بكرٍ أو عمر!
لذا، ينبغـي الجزم بكذب أمثال هؤلاء والتفطُّن إلىٰ ما وراء ذلك. أمّا الاحتجاج بالإمكان العقلي فهو ــ كما قال الإمام برهان الدين بن جماعة ــ لا يصحّ، لأنّ المعوَّلَ في ذلك إنما هو النقل، وليس كل ما يجوِّزه العقل يستلزم الوقوع. يُنظر «لسان الميزان» (٣: ٤٥٧ ــ ٤٦٤). (الناشر).

٣٣ــ وممن أخذنا عنه الإجازة وتشرفنا برؤيته وحظينا باستمداد بركته: السيدُ الجليل الكامل، رأس العابدين، وقدوة الزاهدين، الذي لا تعد فضائله بالحصر، الحبيب عبْدِ الله بن حسنٍ بن صالح البحر، خليفة والده الذي اشتُهر كماله، وفاق أهل العصر.

زرناه في محله مع سيدي أحمدَ مرات، وحضرنا معه زيارة نبيّ الله هود عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وذلك سنة ١٣١٧هـ. وكان سيدي أحمد يغتبط به حين يلقاه ويعُدّه من كبار أولياء الله، وكذا أخوه الكوكب الأزهري، محمد بن حسن، وتوفي الحبيب عبد الله سنة ١٣١٩هــ.

٣٤ــ ومن أهل بلد (الغُرْفة): سيدنا الإمام قطب الوجود، وكهف الوفود، وكعبة الجود، عيدروس بن عمر الحبشي المتوفىٰ سنة ١٣١٤هـ. تشرّفت بتقبيل يده، والاستمداد من مدده، وفزت بالنظَر إليه، والجلوس بين يديه، والصلاة خلفَه مرةً أو مرتين، قبل صحبتي لسيدي أحمد، وأنا في نحو العاشرة من السنين، وارتسم في قلبي خيالُه، وبهَر لُبِّي نورُه وجمالُه، وكانت رؤياهُ تتكرّر معي إلىٰ الآن.

ورأينا الحبيب الأعظم صلّىٰ الله عليه وسلم علىٰ صورته مرةً من المرات، ورأيته مرة أجازني إجازة وألبسني في المنام وكأنه في محراب مسجد عبد الرحمن السقاف، مع تعطف منه وتحننٍ تامّ، وبشّرني ببشرىٰ حققها الله آمين، وبإجازته لأهل العصر أنا منه مجاز، حقيقةً ومجاز.

٣٥ــ وكذا نجله السيد الفخيم، ذو القدم المستقيم، محمد بن

عيدروس، المتوفىٰ سنة ١٣١٨هـ.

٣٦ـ وفي بلد (سيؤون): قطب رحاها، وشمس ضحاها، إمام الأئمة، سيدي الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي، المتوفىٰ سنة ١٣٣٣هـ. حصل لنا منه الأَخْذُ بجميع أنواعه، والانبساط معه في مجالس أنسه وسماعه، وحضرنا معه أوقاتَ زيارته لتريم وحريضة، ومجامعَ وعظِه وتذكيره، من سنة ١٣١٦هـ إلىٰ سنة وفاته. وكان مجلسه يجْمَع الأكابر، ورجال الدوائر، وأرباب الخمول والمظاهر. اشتهر بعلوّ المقام والرفعة، وبث الله في العالم دعوته ونفعه. وشيخُ فتْحِه هو سيدنا الإمام أبو بكر بن عبد الله العطاس.

حصلت لي منه الإجازة مرات، وكذا الإلباس والتلقين والتلقيم، وطلبت منه الإجازة والوصيّة كتابة، فوعدني بها، وأثنىٰ عليّ، وشكرني علىٰ ملازمتي لسيدي أحمد، وبشّرني بما أرجو تحقيقه بفضل الله.

ثم بعد مدة طويلةٍ حضرْتُ مجلسه يوماً عند بعض خواصه ببلد سيؤون، فخطر في خلدي أن أذكِّره الوعدَ السابق، فقال رضي الله عنه قبل نطقي: (إني طلبت من الحبيب أبي بكر العطاس أن يكتب الإجازة، فقال لي: يا عليُّ، الخِيَرةُ لك، كنت تريد أن نكتبها في قلبك أو في البياض، فقلت: أريدها في القلب. فقال: مدار الأمر أو الطريقة علىٰ خصال أربع، أولها: مراعاة الأوامر، ثم: حفظ السر، ثم: الثقة بالمضمون، ثم: التخلي عن الكونين)، قلت: فأقنَعَني هذا الجواب المستطاب، ممن أوتي الحكمة وفصْل الخطاب.

وقد رأيتُه مرةً في حال حياته وكأنه أمرني أن أغتسل وأتوضأ، ففعلتُ ذلك، ثم قال لي: (أدخلْنَاك طريقـةَ السلوك بشرط أن تكثر من الصلاة علىٰ النبي ﷺ)، فلمّا اجتمعتُ به وهو ببلد تريم ماشَيْته يوماً وهو راكب علىٰ دابته، فأخبرتُه بهذه الرؤيا، فأعجبَتْه وقال: هي رؤيا حقٌّ إن شاء الله، وأجزتك في الصلاة علىٰ النبي ﷺ.

وقد أسعفني الحظُّ الميمون بحضور مجالس سيدي أحمد بن الحسن مع سيدي علي في (تريم) و(حريضة) و(سيؤون)، فكانت لعَمْري أحلىٰ من الغمض في العيون، اشتملت علىٰ أذواق، وتعاطي علوم وفهوم لا تسَعُها الأوراق، مع اتّحاد أرواح، ونشرة أفراح، مُنادمةُ حبيب مع حبيب، طابَتْ وراقت بلا واشٍ ولا رقيب، وإني لأجد طعْمَها الآن بذوقي، فأكادُ أدركها باللمس، ولا بِدَعَ أن تُدرَك اللذّاتُ الروحية بكل الحواسِّ الخمس.

ونظمت في مدحه رضي الله عنه جملةَ مدائحَ أسمعته إياها، وأنشده بعضَها مُحِبُّـهُ الشيخُ بكران باجَمّال في الجمع، فدعا لي وقال: (لا فَضَّ الله فاك). وكان مع سيدي أحمد بن الحسن غايةً في التودد والتصافي، ممتزجاً سرُّهما امتزاج الرحيق بالماء الصافي.

وأخبرني سيدي الفاضل الكامل، العلاّمة شيخ بن محمد بن حسين الحبشي قال: رأيت أخي علي بن محمد، والحبيبَ أحمد بن حسن جالسين معاً وكأنهما يتحاوران في العلم، وكلما تكلم أحدهما ماثَلَ صورتُه ولفظُه صوتَ ولفْظَ الآخر، فلسانُ الحبيب أحمد كلسانِ أخي علي، بل هي، ولسانُ أخي كلسانِ الحبيب أحمد، فتعجّبت من هذا التشاكل، فأخبرت الحبيب أحمد بذلك فقال: أخْبِرِ الأخ علياً، والأمر

كذلك، وكما قيل:

أنـا مَـن أهـوىٰ ومن أهوىٰ أنـا　　　نـحـن روحـان حلـلـنـا بـدنـا

قلت: وقد رأيت في المنام كأنّي علىٰ مائدة مع الحبيبين المذكورين، فأطعمني الحبيبُ علي طعاماً بيده الشريفة، وقال: أنا إن أعطيتك شيئاً فإنما هو من حبيبك أحمد، وإن أعطاك هو شيئاً فإنما هو منّي، فأخبرتُ سيدي أحمد بالرؤيا فقال: هذا الكلام سواء، ونحن وهو واحد. نفعنا الله بأسرارهما.

٣٧ــ وكان ممن لا يغيب عن مجالسة هذا الحبيب، حتىٰ حظي ونال من سره أوفىٰ نصيب، السيد الخاشع المنيب عمر بن حامد السقاف. له سَيْرٌ إلىٰ ربه، بظاهره وبقلبه. جالسته واستجزته مراراً، وقد أخذ عن الحبيب أبي بكر العطّاس.

٣٨ــ وممن لازمَهُ أيضاً العلاّمة الأوحد، الكبير الشان، أحمد بن عبد الرحمن السقاف، الموجود الآن، بقية الدعاة إلىٰ الله بالحال والمقال في هذا الزمان.

٣٩ــ ومنهم: أخوه الجليل الكامل، حائز الفضائل والفواضل، الحبيب شيخ بن محمد بن حسين، وقد أجازَني خصوصاً بما تضمنته «رحلته الحجازية والمصرية الشامية»، المشتملة علىٰ العجائب والغرائب.

٤٠ــ ومنهم: السيد المستقيم علىٰ منهج التقىٰ، الراقي مع مَن رقىٰ، الحسين بن طاهر الحبشي، الساكن بالغرفة ثم سيؤون.

٤١ ــ وممن اتصلنا به في تلك البلد: السيد الإمام المجتهد في العبادة، الراسخ في مقامات الإيمان والإحسان والإيقان، عبد القادر بن أحمد بن قطبان السقاف، أجازنا وألبسنا ولقَّننا وصافحنا، وكان لوالدي المرحوم به معرفةٌ وصحبة، وودّ ومحبة، وهما بجاوة، ثم بحضرموت.

وكان هذا السيد يُدْعىٰ بالقُطْب، وله كشوفاتٌ صادقة، وأحواله تجِلُّ عن الوصف، وتوفي رضي الله عنه ببلده سيؤون سنة ١٣٣١هـ.

٤٢ ــ ومنهم: الحبيب الصالح القانت المنيب طه بن عبد القادر بن عمر السقاف، الآخذ هو ووالده عبد القادر عن القطب أبي بكر العطّاس. صاحبُ ذوق ووجدان، وإذا غلبه الحال صاح بالجلالة، وكان له تعلق قوي بسيدي أحمد، ولا يفارق مجلسه ومجلس الحبيب علي بن محمد إذا جاء سيدي إلىٰ سيؤون.

وقد صحب سيدي عليَّ بن محمد لمّا صعِدَ إلىٰ حريضةَ أولاً وثانياً، وانعقدت هناك مجالس رائقة، دارت فيها من الأنفاس الفائقة، كؤوس داهقة.

* * *

٤٣ ــ واجتمعنا في سيؤون، وتبرَّكنا برؤية السيد الصالح الذي عُمِّر قرناً من السنين: الحبيب أحمد بن جعفر السقاف، الآخذ بلا واسطة عن السيد العارف بالله محمد المجْذُوب صاحب (سَواكِن) القائل إلىٰ أن ينقطع نفَسُه: ناظري في الجنة، وناظر [ناظري، وناظر] ناظر ناظري ــ وهكذا إلىٰ أن ينقطع نفَسُه ــ في الجنة، وكان اجتماعه به بالمدينة في الروضة المطهَّرة.

وكان سيدي علي الحبشي يروي عن السيد محمد المجذوب بواسطة السيد أحمد المذكور، ويغتبط بهذه المزيّة، وسيدي أحمد كذلك، يروي عنه أيضاً، وبواسطة شخص من أهل الهجرين أخذ عنه وأجازه.

* * *

٤٤ ـ وأخذنا الإجازة أيضاً عن الحبيب العارف بالله عبيد الله بن محسن بن علوي، أخَصِّ تلاميذ الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، والآخذ عن والده الإمام محسن بن علوي.

٤٥-٥٠ ـ ولقينا أيضاً: السيد الصالح المعمَّر، حسن بن جعفر، والسيد الفاضل حسن بن محسن، والسيد الصالح ذا القلب [المنور] شيخ ابن عمر، والسيد العلاّمة أحمد بن طه آل السقاف، والشيخ الوليّ محمد ابن أحمد كِبَيْرَان بافضل، والشيخ الفاضل أحمد بن محمد بارجاء، وغيرهم من أهل بلد سيؤون.

وأمّا تريم، مرتـع الريم، وحرَم الإقليم، التي قدرُها كوزْنها عظيم، فقد امترينا من ضروع أعيانها، وصحبنا بها جملة فرسان العلوم والأعمال وسُبّاق ميدانها:

٥١ ــ كالسيد الجليل، الجوهرة المضيّة، والعلاّمة المبرز في علوم الأحكام الشرعية: الحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور، المتوفىٰ سنة ١٣٢٠هـ.

٥٢ ــ وكنجله المشهودِ بفضله، الممتلىءِ بالسر والولاية، البالغ في درجات العبادة والزهادة إلىٰ الغاية: علي بن عبد الرحمن، فقد اتصلنا بهما، ولُذنا بكريم جنابهما، فكان سيدي عبد الرحمن في آخر وقته يجيز في «لا إله إلاّ الله» عن النبي ﷺ يقظةً.

ولابنه علي أحوال غريبة ومناقب عجيبة من الاجتماع بأهل الغيب، وأهل البرازخ، لا تعد ولا تحصىٰ، نفعنا الله بأسرارهما.

وقد أخبر سيدي علي أنّ والده كلّمَهُ وضحك في وجهه وهُو مسَجّىً علىٰ المغتسل.

٥٣ ــ ومن الرجال الكمَّل: ملامتي الأحوال والأوصاف، سيدي أحمد بن محمد الكاف، المتوفىٰ سنة ١٣١٧هـ. وهو ذو قدم راسخ في العلم والعبادة، و[من] الناظرين خفايا الغيب في عالم الشهادة. وكان جده من جهة الأم: سيـدنا الحبيب طاهـر بن حسيـن بن طاهر ولم يدركه، وأما الحبيـب عبد الله بن حسيـن فقـد أخذ عنه، ولوحـظ بعين عنايته، وكان يسميه: أحمد الرفاعي.

قلت: وكان السيد أحمد الرفاعي ذا فَناءٍ عظيم في محبة سيدي أحمد بن الحَسَن، وكان يلاحظني بعنايته، ويخصني بمزيد نظره ابتداءً، وجرت لي معه واقعة كشْفِيةٌ، رحمه الله تعالىٰ.

٥٤ـ ومنهم: سيدنا السيد المخبت المنيب، ذو السلوك والسَّيْر القويم، عيدروس بن علوي [العيدروس]. جالسته في صغري في مسجد الشيخ عبد الرحمن السقاف، وسمعت من كلامه في تراجم الأسلاف ما هو أحلىٰ من السلاف. توفي رضي الله عنه سنة ١٣٢٠هـ.

٥٥، ٥٦ـ ثم من بعده ولداه العارفان بالله عمر، وعبد الله، وكانا علىٰ ذلك القدم، داعيَيْن إلىٰ السبيل الأقوم، ولهما كلامٌ رائق، وذوقٌ فائق، واستغراق في شهود الحق واجتلاء الحقائق، ولنا معهم إجازات وإهداءات وعنايات ورعايات.

ولهما ولوالدهما الفناءُ الكلي، والانطواء الأكبر، في سيدنا الإمام عيدروس بن عمر، اشتُهروا بذلك الاشتهار التام، وتميزوا بتلك المزية لدىٰ الخاص والعام.

وسبَبُ ذلك ـ كما أخبرني سيدي عبد الله بن عيدروس ـ: أن سيدي علي بن محمد الحبشي جاء إلىٰ تريم إلىٰ والده الحبيب عيدروس ابن علوي، متوسطاً في تسديدِ حالٍ بينه وبين بعض قرابته، فكلَّف علىٰ والدي في التنازل علىٰ بعض الحقوق الظاهرة، فأجابه والدي مشترطاً عليه ثلاثة شروط:

الأول: أن يدخلنا علىٰ الحبيب القطب عيدروس بن عمر من طريقه، ويقوي رابطتنا به، لتكون لنا عنده منزلةٌ خاصة.

والثاني: أن يجعلنا الحبيب علي في النظر، والاعتناء والدعاء، والملاحظة الخاصة، كأولاده.

والثالث: أن يخُصَّنا بالإجازة في ذكرٍ خاصٍ من أوراده السريعة التأثير، ذات النفع الكثير. فأجابنا إلىٰ ذلك، وحصل لنا ولله الحمد الاتصال الأكمل بالحبيبين المذكورين.

وأما الذكر الذي أمرنا بملازمته، فهو: «بسم الله الرحمن الرحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، لا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه»، (عشر مرات) كلَّ يومٍ بعد صلاة الصبح.

توفي الحبيب عمر سنة ١٣٢٩هـ، وقد رثاه الحبيب عليٌّ بن محمد بقصيدةٍ غراء، أثنىٰ عليه فيها أبلغ الثناء، وتوفي الحبيب عبد الله في شهر محرم سنة ١٣٤٧هـ.

٥٧ ــ وممن حظيت بنظره وحصلت لي الإجازة والإلباس منه رضي الله عنه: الحبيب شيخ بن عيدروس بن محمد العيدروس، المتوفىٰ سنة ١٣٣٠هـ. جالستُه، وحضرت مع سيدي أحمد لديه مجالس كثيرة، تشتمل علىٰ محاوراتٍ شهية تفوق الدرر النثيرة، وكان سيدي أحمد يشير إليه بالولاية والكَشْف، ويثني عليه بما لا يحدُّه الوصف، وكانت لسانه لا تفتر عن ذكر الله، وإذا تكلم بكلامٍ عاد سريعاً إلىٰ ذكره وفكره.

ومما أُجِزْنا فيه في بعض المجالس: هذه الأسماء الخمسة، وهي:

(يا الله، يا رحمٰن، يا حيُّ، يا قَيُّومُ، يا ذا الجَلال)، وتتلىٰ بلا عدد لتفريج الكروب ودفع الشدائد، كما أمره بها جدُّه الأكبر عبد الله بن شيخ في حالِ مرضٍ نزل به واشتدّ عليه، وظهر عليه يقظةً وأجازنا أيضاً في مئة مرة من «ما شاء اللهُ لا قوة إلا بالله» في سبق العاطس بالحمد بقولك: (الحمدُ لله علىٰ كل حال، ما شاء الله كان)، فهو أمانٌ من ثلاثة أمراض: مرض البطن، والأذن، والضرس.

٥٨ـ ومنهم: سيدنا الحبيب العارف بالله عبد الله بن أبي بكر العطاس، نزيل تريم، والمتوفىٰ بها سنة ١٣٢٤هـ.

٥٩ـ ومنهم: سيدنا الحبيب الوليّ الكامل عبد الله بن علي بن شهاب الدين.

٦٠ـ ومنهم: سيدُنا الحبيب الفاضل عبد الله بن محمد بن عقيل مطهَّر، ساكنُ بلد (قَسَم)، تلميذُ الحبيب العارف بالله علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر، المتوفىٰ سنة ١٣٣٥هـ.

٦١ـ ومنهم: الحبيب الصالح عبد الله بن هادي بن عبد الله الهدار، ساكن (عِيْنات)، وقعَتْ بيني وبينه محبة أكيدة، وكان صاحب استقامة وأعمال مرضيّة، وأخلاق نبويّة، توفي رضي الله عنه سنة ١٣٣٤هـ، أو قريباً منها.

٦٢ـ ومنهم: سيدي العلاّمة علوي بن عبد الرحمن المشهور، كانت لنا به صحبة ومودة ومحبة، إلىٰ أن قضىٰ نحبه سنة ١٣٤٣هـ.

وقرأنا «تفسير الجلالين» مع مراجعة «حواشيه» في مسجد المحضار بتريم، في ليالي رمضان، أول مرة وثاني، بحضورِ جمْع.

٦٣ ــ ومنهم: سيدي الحبيب العارف بالله عبد الله بن علوي الحبشي، الساكن ببلد (ثِـبِيْ)، اتصلنا به اتصالاً، وجالسناه وأخذنا عنه واستجزناه، وكان لنا منه ودٌّ كامِل، وبشَّرنا ببشائر، وسمع كتاب «صلة الأهل» الذي جمعناه من مناقب بني فضل، أولاً وثانياً، ودعا لنا دعوات صالحة، واستدعانا إلىٰ بيته في مرض موته، وتحنن وتعطف علينا، وأبدىٰ لمحبوبه من الحنان والمودة ما لا مزيد عليه، ومما قاله لي: (أبشّرك بأنك محبوب عند الأكابر، ومقبول لديهم كلهم)، حقق الله الآمال، آمين.

٦٤ ــ ومنهم: الحبيب الجليل، مَن هو بالإعظام والإجلال حريّ، محمد ابن سالم السَّرِيّ. أجازني مراراً عديدة بما احتوىٰ عليه «ثبَتُه الكبير»، وهو اتصل بعلماءَ نحارير من كل إقليم، وأسانيده في غاية العلو والرفعة. توفي رحمه الله بتريم سنة ١٣٤٥هـ.

* * *

٦٥ ــ وأُجِزْنا بالإجازة مشافهةً عن السيد الوليّ، الزاهد المتقشف الصوفيّ، عيسىٰ بن عبد الله الحبشي، الساكن بـ (خَلْع رَاشِد). وزرناه إلىٰ بيته ولم نجده، فانتظرناه حتىٰ جاء، وعلىٰ ذراعه حزمةٌ يحملُها إلىٰ داره مع شيخوخته وضعف نظره، والتمسنا منه الوصيّة، واستجزناه فأجازنا في كتب الحبيب عبد الله الحداد، وقال: (الوصيّةُ هي ما في كتب الحبيب)،

وكنا حينئذٍ جمْعاً كثيراً، وكان ذلك سنة ١٣٢٨هـ. وله دُوَيْرةٌ لطيفة إلىٰ الغاية تولىٰ بناها بيده، وقد شاع واستفاض أنه لم يعلِّمه القرآن أحَدٌ سوىٰ الحبيب أحمد بن زين الحبشي جدّه الأكبر وهو في قبره.

٦٦ـ ومنهم: السيد الصفيُّ الحبيب سالم بن طه بن علي الحبشي، ساكن (خَلْع راشد) من أهل الاستقامة، والسلوك في مناهج أهل الفضل والإمامة، وكان ذا كشْفٍ صادق وبصيرة منيرة، وتعددت لي معه مجالس، فطلبتُ منه الإجازة والاتصال الكامل، وكان يحب سيدي أحمد بن حسن ويبجِّله جداً، وله شغفٌ بسماع ما يكتب به كاتبو كلامه، مع ذوق ووجدان، رحمه الله وأسكنه فسيح الجنان.

٦٧ـ ومنهم: الحبيب العلاّمة عبد الرحمن بن حسن الحبشي، من أهل (خَلْع راشد) حوطة الحبيب أحمد بن زين، اجتمعتُ به مراراً، والتمست دعاءه، ويغلِب الظن أني استجزته. وقد ورد إلىٰ (حريضة) زائراً لسيدي أحمد، وكذلك أكثرُ من مرّ ذكرهم آنفاً.

٦٨ـ ومنهم: والدي الشيخ الفاضل عوض بن محمد بافضل، المتوفَّىٰ سنة ١٣٣٢هـ، أجازني خصوصاً في هذا الدعاء ثلاثَ مرات، حفظت عليه القرآن، و«ملحة الإعراب»، وقرأت عليه «المختصر اللطيف»، وأجازني خصوصاً في [هذا] الدعاء (ثلاثَ مرات) بين الأذان والإقامة، وهو: (اللهمَّ إنّي أسألُك رضاكَ والجنّة، وأعوذُ بك مِن سخَطك والنار)، وقال: إنه رأىٰ رسُول الله ﷺ يأمره بذلك.

وأجازني في «دلائل الخيرات»، كما أجازه شيخ «الدلائل» بالمدينة

السيد محمد سعيد، بسنده إلىٰ المؤلف، وكان لا يدع قراءتها جميعها كل يوم.

وحصلت له مزيةٌ لم تحصل لغيره فيما أعلم، وذلك أنه قرأ «الإحياء» الغزالية عند ضريح القطب الأشهر، سيدنا عبد الله العيدروس الأكبر، في مدة ثمانية وعشرين يوماً معتقداً صحة ما قاله العيدروس في الثناء علىٰ «الإحياء»، وعلىٰ من قرأها ناوياً الأخذ والتلقي عنه، فلما ختمها أخذَتْه سِنَةٌ وهو حول التّابُوت الذي يضم ضريحه، فرأىٰ كأنه في ميدانٍ واسع، ورأىٰ مَجْمعاً غاصّاً بأهله، وفي صدر الجمع منبراً وكرسياً منصوباً، وسيدنا العيدروس جالسٌ عليه يلقِّن الحاضرين: (لا إله إلا الله)، ويُجيزهم في «الإحياء» خصوصاً، إلىٰ ما رآه في تلك اللحظة السعيدة.

قلت: ولمّا أخبر والدي السيِّدَين عمرَ وعبدَ الله ابني عيدروسٍ بتلك الرؤيا وسببها، رتَّبا مجلساً خاصاً لقراءة «الإحياء» عند ضريح سيدي العيدروس، واستمر إلىٰ وقتنا هذا.

٦٩ــ ومنهم: سيدي السيد الصفيُّ الولي، الحسن بن محمد بن إبراهيم بلفقيه، أجازني وألبسني، وتوفي سنة ١٣٤٥هـ.

٧٠ــ ومنهم: سيدي وجَدِّي الورع الزاهد، العلاّمة الشيخ أحمد بن عبد الله ابن أبي بكرٍ الخطيب الأنصاري، المتوفىٰ سنة ١٣٣١هـ. قرأت عليه «بداية الهداية»، و«الفصول الفتحية»، و«النفثات الروحية»، للشيخ حسين بلحاج بافضل، وفي غيرهما كـ«شرح صحيح مسلم»، و«شرح ابن عقيل علىٰ الألفية»، وسمعتُ منه وأخذت عنه، وأجازني وألبسني.

ومشايخه كثيرون، وأكثرهم أشراف علويون؛ وأحواله عظيمة وصفاته جليلة، ذو مجاهدات عظيمة، وخِلالٍ كريمة، تعلوه الخَشْية والسكينة، وكان إذا صلّىٰ فكأنما علىٰ رأسه الطَّير، قَلَّ أن يوجد له مثيل، في الثبات علىٰ أقوم سبيل، مع شدة إجلال وإعظام لأهل بيت النبي ﷺ، فيقوم للصغير منهم إذا دخل عليه، ويقبِّل يده، وهُو مع ذلك في سنّ الكبر.

وأخبرني الشيخ الفاضل المعلم عبد الرحمن باحرمي ــ وكان يقرأ عليه ــ أنه في أيام بدايته كان يكتفي بالحُزمة من القَضْب هو وأهله عشاء وغداء، حتىٰ أنه تنوّر باطنه جداً وصار يحس بالملائكة أحياناً تقع علىٰ رأسه، وكذلك الأرواح الزكية، وإذا قرأ آية الكرسي عند النوم يحسّ بحضور الملَك الموكَّل بحراسة قارئها كما ورد في الحديث.

قلت: ومما أوصاني به: قراءةُ ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ (سبع مرات) بعد كل صلاة، فهي أمانٌ من كل سوء، و(مئة مرة كل يوم) من قوله: (أنا في جاه سيدي رسول الله ﷺ)، عن الشيخ محمد العزب.

٧١ــ ومنهم الشيخ الصالح، معلِّم كتاب الله من صغره، إلىٰ أن قارب المئة من عمره، عمر بن سعيد باغريب. أدرك العبادِلةَ المشهورين، وأجازني وألبسني مراراً، توفي سنة ١٣٤٠هـ.

❑ ❑ ❑

وأما الذين لقيتهُم، وأخذت الإجازة عنهم بالحرمين الشريفين ومصر، في الأعوام التي قدّر الله لي فيها حَجَّ البيت الحرام، وزيارة سيد الأنام، عليه وعلىٰ آله الصلاة والسلام.

٧٢ــ فأحقُّهم بالتقديم: الحبيب الفخيم، الإمام العظيم، سيدي الحسين بن محمد الحبشي، المتوفىٰ سنة ١٣٣٠هـ. أجازني مراراً بحضرموت وبمكة، وقرأت عليه في «منسك الشيخ علي بن قاضي» أيام الحج، و«مكاتبات الحبيب حسن بن صالح البحر»، وجالستُه واستفدت منه فوائد.

وحضرت مجالس رائقة، ومحاضرات فائقة، عُقدت في بيته بمكة المشرّفة وفي بيوت أُخر، حضرها شيخُنا وأستاذنا الحبيب أحمد بن حسن العطّاس سنة ١٣٢٥هـ، وعلماء كثيرون من المغرب، ومصر، والشام، واليمن، ومكة، ووقع فيها الاتصال والوصال، والتلقي والسماع، والإمداد والانتفاع، ومن النظرات والنفحات، والإفادات والمذاكرات الفائقات، ما لا تحصره العبارات، فنذكر منهم مَن حضر في الذاكرة والبال، علىٰ سبيل الإجمال:

٧٣ــ فمنهم: السيد الإمام، مسند أحاديث المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام، ذو التآليف المشهورة بين الأنام، محمد جعفر الكتاني، نزيل المدينة المنورة ثم دمشق الشام، والمتوفىٰ بها سنة ١٣٤٢هـ.

٧٤ــ ومنهم: شيخ علماء بيروت، الشيخ يوسف بن أحمد علائي.

٧٥ــ والسيد العلّامة محمد بن أحمد خَرْما

٧٦ــ ومنهم: السيد الجليل، مفتي مدينة زبيد، سليمان بن محمد الأهدل، حفيد السيد الشهير عبد الرحمن الأهدل صاحب «النفَس اليماني».

٧٧ــ والشيخ العلاّمة سعيد الموجي المصري.

٧٨ــ والشيخ يوسف العمري الطنطاوي.

٧٩ــ والشيخ يوسف بن محمد المرجاوي إمام المحمل المصري.

٨٠ــ والسيد محمد أبو الذهب.

٨١ــ ومنصب المَرَاوِعة، السيد الصوفي، العارف بالله، عبد الباري ابن أحمد الأهدل، وغيرهم من الجهابذة الأعلام.

٨٢ــ ومن مكة: مفتي الشافعية الشيخ محمد سعيد بابصيل.

٨٣ــ والشيخ العلاّمة، عمر بن أبي بكر باجنيد.

٨٤ــ والسيد العارف بالله، عمر بن محمد شطا.

٨٥ــ وابن أخيه، العلاّمة أحمد بن أبي بكر شطا.

٨٦ــ والشيخ الحافظ، أعجوبة الزمان، سعيد المغربي.

هؤلاء بعض مَن لقيتهم، وحضرت مجلس سيدي أحمد معهم، وأخذت عنهم الإجازة، وكلهم قد استجازوا من سيدي لفظاً وكتابة.

* * *

ولقيت أيضاً جملةً من الأفراد، وصلحاء العباد، في الأعوام التي حججْتُ فيها من بعد عام الخَمْس والعشرين والثلاثمئة والألف.

ففي سنة ١٣٣٠ سافرت لحج بيت الله وزيارة سيدنا رسول الله ﷺ، وزرت بلاد مصر، ولقيت فيها علماء جهابذة، وشيوخاً وأساتذة.

٨٧ ــ منهم: السيد الشهير الكبير أحمد بيك الحسيني، أجَلّ تلامذة شيخ الإسلام الأُنْبابي، أضافني إلىٰ بيته، وكتب لي إجازة مطوَّلة، وضَعَ تحتها ختْمَه، وله التآليف المفيدة النافعة، منها «شرحه علىٰ الأم» للإمام الشافعي، بلغ فيه إلىٰ آخر الزكاة، في ٢٤ مجلداً.

٨٨ ــ ومنهم: السيد العلّامة محمد أحمد الظواهري، شيخ الجامع الأزهر الآن.

٨٩ ــ ومنهم: رئيس مشيخة العلماء بطنطا، الشيخ محمد الفَقِي، عالم ناسك عابد، علىٰ هيئة السلف الصالح.

٩٠ ــ ومنهم: الشيخ محمد هارون عبد الرزاق.

٩١ ــ والشيخ عبد الهادي مخلوف الحلبي.

وبالمدينة المنورة:

٩٢ ــ مفتيها السيد أحمد البرزنجي.

٩٣ ــ والشيخ الصالح شيخ السادة علوي بافقيه.

٩٤ ــ وشيخ السادة من بعده علوي بن عبد الرحيم السقاف.

٩٥ ــ والسيد الجليل علي بن علي الحبشي.

٩٦ ــ والشيخ العلّامة الأكبر، المحدّث الأشهر، حمدان بن أحمد الجَزَّار الأندلسي، نزيل المدينة المنورة، والمتوفى بها سنة ١٣٣٨هـ، وقد حصلت لي منه الإجازة بالروضة المطهرة، خصوصاً وعموماً.

وأجازني خصوصاً في «صحيح البخاري»، كما وقع له الإذن بذلك من سيدنا رسول الله ﷺ، قال رضي الله عنه: رأيته عليه الصلاة والسلام مناماً، وقرأت عليه «صحيح البخاري» من أوله إلىٰ آخره، وكلما قرأت عليه حديثاً [قلتُ:]: أأنت قلت له بهذا يا رسول الله؟ قال: نعم، قلت: أتأذنُ أن أخرجَ إلىٰ الناس وأحدثهم عنك بهذا؟ قال: نعم، اخرج إلىٰ الناس وحدِّثهم عني، أو كما قلت.

وقد بعث إليه سيدي أحمد بن حسن يستجيزه بهذه الطريقة العزيزة الوجود، حتىٰ سمعت سيدي يقول: (لا شك أن هذا وقع للشيخ مع الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم يقظةً وإن قال: مناماً، فهو تورية).

٩٧ــ ومنهم: السيد العلاّمة، مفتي الديار اليمنية، محمد البطّاح الأهدل، لقيته عام ثمانية وثلاثين وثلاثمئة وألف (١٣٣٨هـ) بمكة المشرفة، وقرأت عليه خطبة «المنهاج» للإمام النووي تبركاً، وأجازني إجازةً عامة، وكتبها لي بخطِّه الجميل، وهو من تلاميذ السيد الشهير بسعة العلم بمدينة زبيد: داود حَجَر.

٩٨ــ وفي عام واحد وعشرين وثلاثمئة وألف حججت أنا ووالدي، ولقينا بمكة المشرفة أئمةً من علماءِ الغَرْب، أَجَلُّهم السيد العارف، بحر العلوم والمعارف، محمد بن عبد الكبير الكتاني، الذي بلغت مؤلفاته مئة وستين، وكان يقول: (لو احتجب عني رسول الله ﷺ طرفة عين ما عددت نفسي من الأحياء)، ووقعت لنا منه الإجازة مراراً، والإلباس، والتلقين، والتلقيم بالعسل، في مجلسٍ حضره محدث المدينة المسند الشهير محمد

علي ظاهر الوتري، وسيدي الجليل الحسين بن محمد الحبشي، .وعلماء مكة، وحضرنا تدريسه في الحرم المدني.

* ومن غريب ما وقع له بمكة: أنه انعقد مجلسٌ شريف في بيت الحبيب حسين الحبشي، وكان ضيفاً له ذلك اليوم، ونحن ممّن دُعي لتلك الضيافة، فأمروا المسمِّع بالسماع، وكان مجيداً في الحدو والسماع بالطرائق كلها، وهو الشيخ الصافي الصالح عبد الله فرحات، فأنشد بقصيدة الشيخ العارف عبد الهادي السودي اليمني التي مطلعها:

نسيمُ نجْدي سَرَىٰ وهْناً فأشجاني ... وبـات يبعَـثُ لي همِّـي وأشجاني

فلمّا بلغ إلىٰ قوله:.

عـلــيَّ للهِ نــذْرٌ لا أحُــلُّ بــهِ ... إلا لعُذرِ إلىٰ الإخلالِ ألجَـانـي

تواجد السيد محمد وتمايل، وخلع عباءته علىٰ المنشد، وقال مستشهداً بالحديث النبوي: «من قتل قتيلاً فله سَلَبُه»[1]، وحصل للحاضرين أُنسٌ عظيم.

* * *

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير (٧:٢٩٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢: ٣٦٩)، وغيرهما بهذا اللفظ.

وأصله عند مسلم بلفظ: «من قتل قتيلاً له عليه بيّنة فله سلبه»، في الجهاد (٤٥٤٣).

٩٩ ــ وممن أخذت عنه وأسعفني الحظ بمشاهدته: الشيخ العارف بالله، أحمد بن الشمس المغربي، نزيل المدينة المنورة، وهو إمامٌ جامع، زاهد متواضع، له مؤلفاتٌ عديدة، وصاحبُ كرامات خارقة.

ومما قرأت عليه: «وصيةُ الحبيب القطب عيدروس بن عمر الحبشي للسيد الفاضل علي بن علي الحبشي» نزيل المدينة، وهي في نحو كراس، وكان يطلبها مُنْذُ سَمِع بها.

وكان يحب السادة العلويين، وكلما أقبلت عليه أنا وجماعة معي من أهل تريم قال: (مرحباً يا أهل تَرِيم، لا زالت الخيراتُ إليكم تَرِيمُ)، وكان ذلك سنة ١٣٣٨هـ.

١٠٠ ــ وممن لقيته وأخذت عنه: الشيخ العلاّمة الشهير يوسف بن إسماعيل النبهاني، المتوفىٰ سنة ١٣٥٠هـ. اجتمعت به في الحرم المكي سنة ١٣٣٠هـ، وكانت المعرفة به سابقةً بمكاتبة سيدي وشيخي الحبيب أحمد بن حسن له، ومكاتبته للمذكور، وجلست معه جلسات متعددة في الحرم، وكان يُجلسني بجانبه والعلماء يتواردون عليه ويستجيزونه، وقد أجازني بمروياته ومقروآته ومسموعاته ومؤلَّفاته كلها، وكان شغوفاً بالسادة العلوية، ممتلئاً بحبهم وبالاعتقاد الكامل في سيدي أحمد بن الحسن العطاس، وفي سيدي علي بن محمد الحبشي.

* * *

وبالجملة، فقد منَّ الله علىٰ عبده الحقير، بمواجهة كثير، من أهل السِّرِّ الكبير، والعلم الغزير، والأخذ عنهم، والاستمداد منهم، وفي عدِّهم بالتفصيل تطويل، وعلىٰ عائدة الاتصال بأولئك الرجال العُمْدةُ والتعويل، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل دار النعيم مأواهم، وحشرنا جميعاً في زمرة مَن أحبهم الله واصطفاهم.

* * *

وأقول ممتثلاً لأمر ذلك الحبيب، وإن يعَدُّ تجاسراً علىٰ هذا المقام الرهيب:

أجزتُ سيدي السيد الكبير الشان، عليَّ بن عبد الرحمن، ونجله الأديب الذكيَّ، محمد بن علي، بكل ما أجازني به الفضلاء المذكورون، إجازة كاملة، شاملة جامعة، في سائر العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والطرائق الصوفية، والأذكار النبوية، وفي كل مسموعٍ ومنقولٍ ومقروءٍ ومرويٍّ تصحُّ لي فيه الروايةُ والإذنُ بذلك، بشرط أن يجعل لي زاوية في قلبه الطاهر العامر بالأسرار والأنوار، ويَخصَّني وأولادي ومشايخي بدعواته، في خلواته وجلواته.

والوصية لنفسي ولذلك الحبيب، ونجله الأديب: تقوىٰ الله تعالىٰ، ودوام السير والسلوك علىٰ نهج السلف الصالح، ومثل هذا الحبيب الجليل لا يُوصَىٰ بغير ما هو ثابت عليه من كمال الاستقامة، والقيام بأعباء الدعوة إلىٰ الله، التي هي تاج الخلافة وعين الإمامة، لا سيما في هذا الزمان المظلم، والعصر الذي فيه الجهل مُخيِّم، فنسأل الله تعالىٰ أن يحفظ هذا

د توفي بالمدينة رجب ١٣٤٢هـ . محرم الحرام ٢/١٣٨٢هـ

٩٩ــ وممن أخذت عنه وأسعفني الحظ بمشاهدته: الشيخ العارف بالله، أحمد بن الشمس المغربي، نزيل المدينة المنورة، وهو إمامٌ جامع، زاهد متواضع، له مؤلفاتٌ عديدة، وصاحبُ كرامات خارقة.

ومما قرأت عليه: «وصيةُ الحبيب القطب عيدروس بن عمر الحبشي للسيد الفاضل علي بن علي الحبشي» نزيل المدينة، وهي في نحو كراس، وكان يطلبها مُنْذُ سَمِع بها.

وكان يحب السادة العلويين، وكلما أقبلت عليه أنا وجماعة معي من أهل تريم قال: (مرحباً يا أهل تَرِيم، لا زالت الخيراتُ إليكم تَرِيمُ)، وكان ذلك سنة ١٣٣٨هـ.

١٠٠ــ وممن لقيته وأخذت عنه: الشيخ العلاّمة الشهير يوسف بن إسماعيل النبهاني، المتوفىٰ سنة ١٣٥٠هـ. اجتمعت به في الحرم المكي سنة ١٣٣٠هـ، وكانت المعرفة به سابقةً بمكاتبة سيدي وشيخي الحبيب أحمد بن حسن له، ومكاتبته للمذكور، وجلست معه جلسات متعددة في الحرم، وكان يُجلسني بجانبه والعلماء يتواردون عليه ويستجيزونه، وقد أجازني بمروياته ومقروآته ومسموعاته ومؤلّفاته كلها، وكان شغوفاً بالسادة العلوية، ممتلئاً بحبهم وبالاعتقاد الكامل في سيدي أحمد بن الحسن العطاس، وفي سيدي علي بن محمد الحبشي.

* * *

وبالجملة، فقد منَّ الله علىٰ عبده الحقير، بمواجهة كثير، من أهل السِّرِّ الكبير، والعلم الغزير، والأخذ عنهم، والاستمداد منهم، وفي عدِّهم بالتفصيل تطويل، وعلىٰ عائدة الاتصال بأولئك الرجال العُمْدةُ والتعويل، رضي الله عنهم وأرضاهم، وجعل دار النعيم مأواهم، وحشرنا جميعاً في زمرة مَن أحبهم الله واصطفاهم.

* * *

وأقول ممتثلاً لأمر ذلك الحبيب، وإن يعَدُّ تجاسراً علىٰ هذا المقام الرهيب:

أجزتُ سيدي السيد الكبير الشان، عليَّ بن عبد الرحمن، ونجله الأديب الذكيَّ، محمد بن علي، بكل ما أجازني به الفضلاء المذكورون، إجازة كاملة، شاملة جامعة، في سائر العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والطرائق الصوفية، والأذكار النبوية، وفي كل مسموعٍ ومنقولٍ ومقروءٍ ومرويٍّ تصحُّ لي فيه الروايةُ والإذنُ بذلك، بشرط أن يجعل لي زاوية في قلبه الطاهر العامر بالأسرار والأنوار، ويَخصَّني وأولادي ومشايخي بدعواته، في خلواته وجلواته.

والوصية لنفسي ولذلك الحبيب، ونجله الأديب: تقوىٰ الله تعالىٰ، ودوام السير والسلوك علىٰ نهج السلف الصالح، ومثل هذا الحبيب الجليل لا يُوصَىٰ بغير ما هو ثابت عليه من كمال الاستقامة، والقيام بأعباء الدعوة إلىٰ الله، التي هي تاج الخلافة وعين الإمامة، لا سيما في هذا الزمان المظلم، والعصر الذي فيه الجهل مُخيِّم، فنسأل الله تعالىٰ أن يحفظ هذا

الحبيب، ويُمْتِعَ بحياته، ويعيدَ علىٰ الوجود من سرِّه ونفحاته، ويُقرَّ عينيه بما يحب في جميع حالاته، ويشملنا جميعاً بعناية الحبيب الأعظم، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه وذرياته.

وكان تحرير هذه الصفحات ببلد تريم الغَنّاء في شهر رجب الحرام، سنة (١٣٥٢هـ) ثنتين وخمسين وثلاثمئة وألف.

❑ ❑ ❑

تمت الإجازاتُ الخمس

خاتمةُ الكتاب

وبعدُ،

فهذه هيَ الخمسُ الوصايا والإجازات، منَ الأئمةِ القادات، العلماءِ الأثبات، للصفوةِ الثقاتِ من كبارِ السادات، نقلتُها وأخذتُها من أصولِها كما وجدتُها، وجمعتُها في كتابٍ واحدٍ لتسهُلَ قراءتُها ومراجعتُها.

وإني بحمد الله تعالىٰ قد اتصلتُ بهؤلاء الأئمةِ القادةِ جميعِهم، المجيزِينَ والمجازِين، وتمتعتُ بالنظر إليهم، وحضورِ مجالسِهم، وأخذتُ عنهم، وأجازوني، وأكثرُهم ألبسني أيضاً، كما هو مبيَّنٌ ومثبوتٌ في «ثبتي» المسمىٰ «العقُودَ الجاهِزة والوعودَ الناجِزة في تراجم بعض الشخصياتِ البارزة»، إلا سيّدي الإمام الحبيب عمرَ بن عبد الله بن محمد الحبشي، فإني لا أذكرُ أنه أجازني، وقد توفيَ رحمه الله تعالىٰ وسنّي ستَّ عشرةَ سنةً، رحمَهم الله تعالىٰ، ونفعَنا بهم وببركاتهم، وجمعنا بهم في دارِ كرامتِه ومستقرِّ رحمتِه، إنه السميعُ المجيب، وصلّىٰ الله علىٰ سيدِنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبِه وسلَّم، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

وكتبه راجي عفوِ ربه

عبدُ القادرِ بنُ عبد الرحمن بن عمرَ الجُنَيد العَلَوي

عفا الله عنهُ وعن والدَيه

بتاريخ ١٦ شعبان سنة ١٤١٥هـ

الموافق ١٨ يناير عام ١٩٩٥م

فهارس الكتاب

فهرس الآيات الكريمة

علىٰ ترتيب ورودها

* * *

فهرس الأحاديث

* * *

فهرس الأعلام

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
خاتمة الكتاب	١٨٧
فهارس الكتاب	١٨٩
فهرس الآيات بحسب ورودها في الكتاب	١٩١
فهرس الأحاديث النبوية	١٩٣
فهرس الأعلام	١٩٥
فهرس المحتويات	٢٠٣

❑ ❑ ❑



تهذيب النفس

بما ورد من الآداب والوصايا في

الإجازات الخمس

ISBN 9957-23-046-8

9 789957 230463

دار الفتح للدراسات والنشر